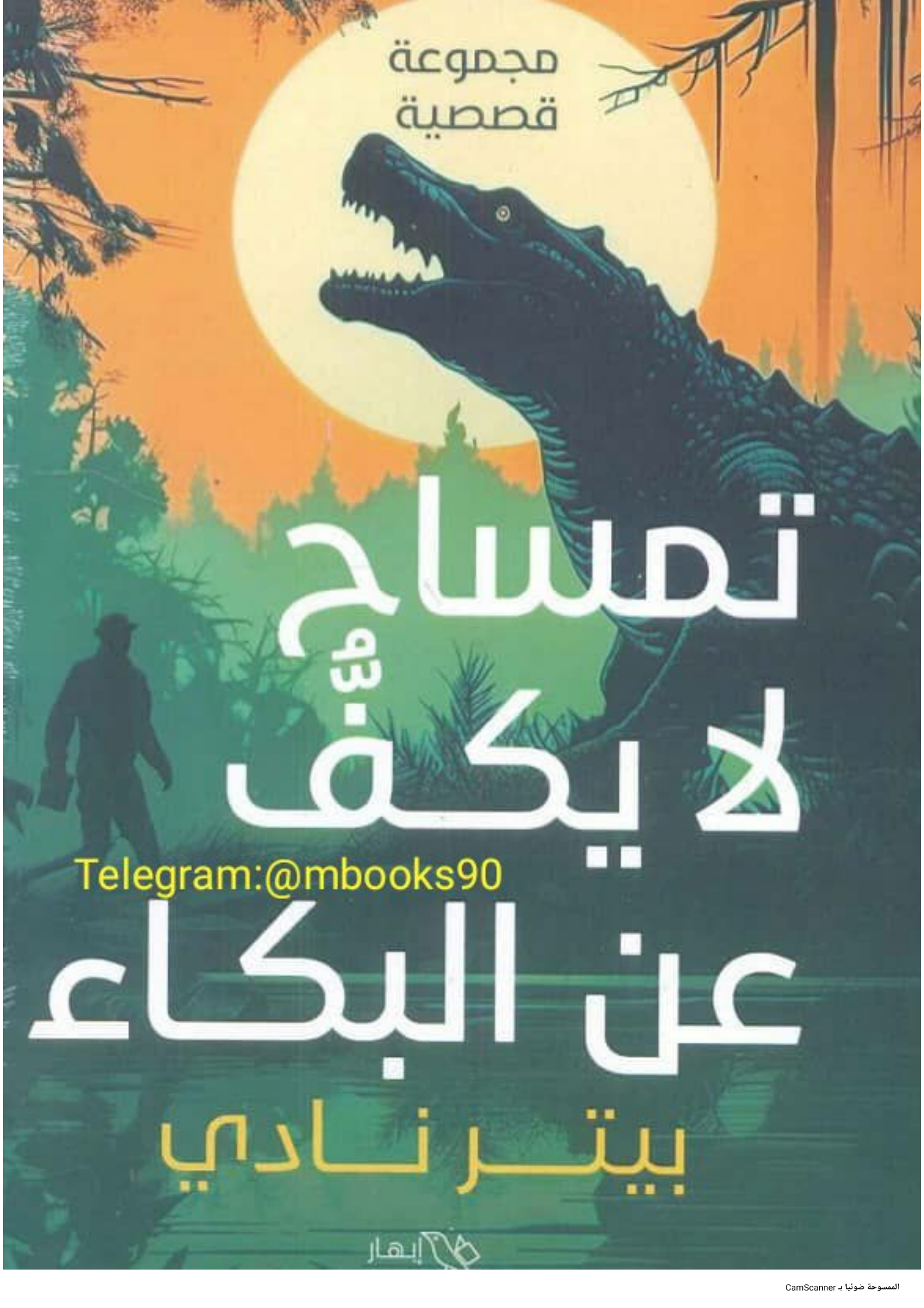

Telegram:@mbooks90

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تمساح لا يكفّ عن البكاء

بيتر نادي

مجموعة قصصية

المراجعة اللغوية: دينا عبد الله
إخراج فني: مريم محمد سيد
تصميم الغلاف: وحيد محمد

رقم الإيداع: [illegible]
الترقيم الدولي (ISBN): [illegible]

جميع الحقوق محفوظة ©

**أي اقتبـاس أو تقليـد أو إعادة طبـع أو نشـر دون موافقة كتابيـة يعرّض صاحبه للمساءلة القانونية.
أما حقوق الملكية الفكرية والآراء والمـادة الـواردة في الكتـاب فهي خاصـة بالكـاتب فقط لا غير**

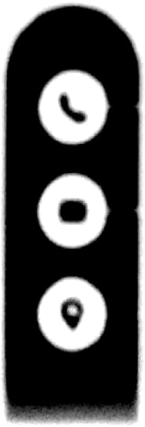

+20 109 919 7450

Info@ebharbook.com
www.Ebharbook.com

Strand block - Abdein square
down town - Cairo - Egypt.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«ليست الحقيقة قاسية، ولكن الانفلات من الجهل مؤلم كالولادة».

نجيب محفوظ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ليس بيدك

أنتَ تقف على حافة الهاوية، تحملق بها بشدة، كم هي شاسعة وعميقة.. مُخيفة للغاية ولكنها بارعة الجمال. أنتَ ترتعد لمجرد التفكير في فرصة أن تقع بها، ولكنك في ذات الوقت تحترق شوقًا من أجل القفز. فجأة تجد العالم بأسره يتمايل إليها، فتسقط رفقة كل شيء. أنتَ مرعوب ولكنك سعيد، لا تملك أدنى فكرة عما يمكن أن يؤول إليه الأمر، ولكن ذلك يحررك. تواصل السقوط لوقت لا تستطيع تقديره. تتساءل إن كان هناك قاع لتصل إليه، أم أن الخواء قد ابتلعك.. قبل أن تتمكن من التفكير تجد نفسك قد وصلت. تقف على أرض صلبة وتنظر نحو قدميك، ثم ترفع ناظرك إلى أعلى، فتجد نفسك على قمة جبل شاهق تكاد تلامس منه أطراف الأفضية التي تحوم فيها معظم خيالاتك، يبدو أن العالم لم يتوقف عن التمايل قط!

أنتَ تقف على أعلى قمة الآن، السُحب تحيط بكَ من جميع الجهات، بإمكانك أن تتلمسهم بكلتا يديك. تنظر للأسفل نحو كل شيء؛ كل الأشياء تبدو ضئيلة للغاية، لا قيمة لها على الإطلاق. تواصل على ذلك المنوال لوقت لا تستطيع تقديره أيضًا، حتى تهبّ عليك رياح عاتية من كل حَدَبٍ وصوبٍ، تصدمك بشدة وتعتصر جسدك من جميع الجوانب، لن تقوى على مجابهتها طويلًا، لقد صرتَ تتألم وأوشكتَ على الوقوع. تبحث في الأنحاء عن أي سبيل للنزول من قمة الجبل، فلا تجد. تستمر في الوقوف على تلك الحال وتجهل ما ينبغي فعله، فتهمس هي في أذنك بصوتٍ عذبٍ وتقول: «إقفز من أجلي».

أنتَ قد تفعل أي شيء من أجلها، ستطيعها بلا مقاومة، بالطبع ستقفز. ولكنكَ تمد رأسك أولًا لتنظر نحو آلاف الأمتار التي تفصلك عن الأرض، فتتفاجأ بما تراه هذه المرة. لقد اندثر كل شيء، لم تعد هناك أرض، فقط مياه تغمر كل شيء. العالم بأكمله أصبح عبارة عن مسبح كبير، إنه الطوفان الأعظم على ما يبدو. منسوب المياه يتزايد بسرعة جنونية، ويواصل تسلق الجبل في طريقه إليك. قبل أن تتمكن من القفز، تكون المياه قد التهمتك. أنتَ الآن تهيم في محيط لا قاع له، وسطحه يفوق قمم الجبال. وحيد للغاية في ذلك الوسط الأزرق الشاسع. شارد، خائر، مُكتظ، وخاوٍ. تبدأ في الاختناق وتهوي نحو أسفل حيث لا يوجد قاع. تنظر إلى السطح المضيء في أثناء ذلك. كم تتمنى أن تصعد إليه، ولكن كم صرتَ بعيدًا عنه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تواصل التوغل في تلك الأعماق السحيقة المعتمة، وتصبح النهاية وشيكة للغاية.

تهمُّ أن تغلق عينيك كي تستسلم تمامًا، ولكنك تلمحها من بعيد قادمة نحوك. تضيء لك الأعماق كي ترى، وتُقبِلك كي تملأ رئتيك الخاويتين بأنفاسها الدافئة. تداعب جسدك بأصابعها الرفيعة، وخصلات شعرها الناعمة تلفُّ وجهك. أنتَ تفقد نفسك فيها كليًا، تنظر في عينيها وتتلمس بشرتها، وهي تحتضنك وتلتهم كلتا أذنيك. تمتلئ المياه من حولكم بدمائك، فتصعد هي بك وتدفعك نحو السطح بعيدًا عنها. تواصل النظر إليها بينما يطفو جسدك إلى فوق، لا تريد أن تتركها، لم تعد تريد السطح، أنتَ لا تريد سوى أن تبقى معها في تلك الأعماق على الدوام، ولكن الأمر ليس بيدك. هي تغوص بعيدًا وتختفي تمامًا عن ناظرك، وأنتَ لن تنساها ما حييتَ.

تصل إلى سطح الماء، فتتسابق الأمواج وتتصارع فيما بينها من أجل الوصول بك إلى الشاطىء. توَّجه نظرك نحو أعلى؛ الشمس تسطع في كبد السماء، ضوءها يزعج عينيك. تلتفت بعيدًا عنها وتحاول الوقوف، فتجد قدماك القاع، المياه بالكاد تصل نحو كتفيك. تنظر أمامك وترى الشاطىء على بُعد خطوات قليلة. تخرج من الماء وتشاهد العديد من الناس حولك، ينظرون إليك ويتحدثون، ولكنك لا تسمعهم على الإطلاق، لم يعد بإمكانك ذلك في جميع الأحوال. تبتعد عنهم وتسير طويلًا حتى تصل لمكان ناءٍ من ذلك الشاطىء. لم يعد هناك أناس، ولكنك ترى بالقرب من الماء سمكة نافقة وبجانبها غراب يبكي.. تحدق فيهم طويلًا كما لو كنت تعرفهم من قبل، ثم تلتفت بعيدًا عنهم وتجد صخرة كبيرة بالقرب منك، تذهب إليها فتصعد وتجلس عليها. تنظر على امتداد الأفق أمامك وتفكر بها، فتجد قطرات من الماء تصدم وجهك. تنظر إلى أعلى، فتجد السماء قد صارت عبارة عن عينيها وهي تبكي. تغمرك دموعها تدريجيًا، فتذوب بهم وتتلاشى تمامًا. تفتح عينيك وتجد نفسك قد عدتَ إلى هذا العالم. تغلقهما ثانيةً وتحاول بشتى الطرق أن تعود إلى ذاك العالم، ولكنك لا تستطيع، فالأمر ليس بيدك.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنماط

قد تظن مع نفسك أن أهم شيء حيال أمرٍ ما هو الهدف منه، تتساءل بداخلك: «لماذا عساني أن أفعل ذلك الأمر؟! ما النفع الذي سوف يعود عليّ أو على غيري منه؟!».. وإذا كانت الإجابات مُرضية، فستمضي قدمًا وتقوم به. على الأقل أغلب الناس يقومون بذلك، ولكن بالنسبة إليه.. الأمر يبدو مختلفًا تمامًا! الهدف مسألة لا تشغله على الإطلاق. هو يقوم بما يقوم به بلا هدف، الأمر أشبه بالهواية، أو ربما أكثر من ذلك بقليل. ما يشغل باله عن حق، هو الطريقة التي يقوم بها بالأشياء، أو بالأحرى النمط!

هو مهووس بالأنماط، فعل التنميط بحد ذاته هو المحرك الرئيسي بالنسبة له. لا يفكر ولا يهتم بماهية الشخص الذي سوف يقتله، ولكنه يهتم بالنمط الذي سيختار به ذلك الشخص، وبالنمط الذي سينفذ به فعل القتل، وبالنمط الذي سوف يختار به النمط الذي سينفذ به فعل القتل. يفكر في النمط الذي يضع به تلك الأنماط المختلفة، والنمط الذي يُمكّنه من الاختيار بينهم جميعًا. لكم أن تتخيلوا رأس ذلك الشخص، الأمر أشبه كما لو كانت هناك أغلال تُكبل جميع فصوص مخه، ليس هناك أدنى مجال للتحرر من أفكاره. رأسه عبارة عن عدة طرق داخل مدينة مغلقة على نفسها، يواصل الدوران بداخل تلك الطرق إلى أن يصل إلى محور المدينة الذي يمثل -كما قلنا سابقًا- فعل التنميط بحد ذاته.

جريمته الأولى كانت منذ زمن بعيد، كان يقود سيارته بدون وجهة محددة، كان يستمع إلى مقطوعة الدانوب الأزرق ليوهان شتراوس، رأسه كانت في حالة شبه مثالية آنذاك. ولكن، وفي خضم تلك اللحظة الرائعة من حياته، مرت من جانبه سيارة فيات 128 بيضاء يقودها شخص سمين أصلع يرتدي بزة بنية فاتحة. ظلَّ ذلك الشخص ينظر إليه من نافذة سيارته ويلوح له. حاول هو أن يتجاهله، ولكن الشخص لم يكف عن محاولاته وراح يضغط على «كلكس» سيارته بلا توقف. عندئذٍ أوقف هو المقطوعة عند ثانيتها ال«183» ثم نظر إلى ذلك الشخص السمين ولوّح له مبتسمًا، فابتسم له ذلك الشخص بسعادة غامرة ثم تركه ورحل في طريقه. قام هو ببضعة حسابات في رأسه، ثم قرر أنه سيقتله، فتبعه حتى تعرَّف على منزله. انتظر ثلاثة أيام دون أي استماع إلى موسيقى كلاسيكية، كان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يدرس الموضوع من كافة جوانبه؛ التوقيتات والتحركات الخاصة بذلك الشخص، والمقربين له ودرجة تدخلهم في حياته، المنطقة التي يسكن بها، والمخاطر التي من المحتمل أن تواجهه، والكثير من الأشياء الأخرى بكل تأكيد. في اليوم الرابع كان قد وضع خطته، وفي اليوم الخامس قام بتنفيذها. صعد إلى منزل ذلك الشخص في التاسعة مساءً، انتظره حتى يخرج من الحمام ثم ضربه على رأسه، حقنه بإحدى المواد المخدرة، وأعاد تشغيل مقطوعة الدانوب الأزرق من حيث أوقفها. بعد ذلك قام بقطع كافة أطراف جسد ذلك الشخص، ومع انتهاء المقطوعة كان قد أنهى عمله.

عاد ذلك اليوم إلى منزله وجلس في شرفته، وتذكر والده، أغلب الناس كانوا يعتبرون والده شخصًا مجنونًا. والده كان يخبره بأنه يعلم ما يظنه الجميع عنه، ولكنه لم يكن يهتم، قال له ذات مرة: «الجنون الذين يتحدثون عنه هو مجرد نمط لا يفهمه محدودي التفكير، ولا يتقبله متوسطي التفكير، ويخافه النخبة».

في إحدى المرات عندما كان صغيرًا، كان عائدًا من المدرسة ورأى قطة فوق غصن شجرة، هرع نحوها وأخذ يتسلق الشجرة كي ينقذها، قامت القطة بعضّه، فسقط من فوق الشجرة إلى الأرض. قفزت القطة عليه، وخدشت وجهه بأظافرها الحادة. بعد ذلك الموقف، جلس معه والده وتجاهل كتفه المخلوع ووجهه المشوّه، وقال له:

- حسنًا، لم أتمكن من إنقاذك ولن أتمكن ولن يتمكن أحد، ربما القطة هي الوحيدة التي حاولت أن تنقذك بما فعلته معك. كانت تحاول أن تلقنك درسًا مهمًا للغاية؛ المشاعر الطيبة والأخلاق الكريمة لن تفيدك في عالمنا. لا يهم أن تمتلك هدفًا أو غرضًا لما تفعله؛ افعل ما شئت أيًا كان، ولكن اجعله وفقًا لنمط معين. ركز دائمًا على نمط قيامك بأي شيء، اجعل الأنماط تسيطر على عقلك، ستحميك من ضعفك ومحدوديتك، وستحيلك إلى شخص منضبط، متزن، ومجنون..

لم يتحدث معه والده بعد ذلك الموقف، وقام بالانتحار بعد عامين. شعر هو بالحزن الشديد وبكى كثيرًا، لقد كان يحب والده رغم غرابته ولامبالاته. بدأ العمل بنظريته المتعلقة بالأنماط في حياته، ولكن مع التقدم بالسن والتجارب بدأ يكتشف أنها ناقصة؛ إنه لأمرٍ عظيمٍ أن تسير وفقًا لنمط معين، ولكنه أمر خطير للغاية،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خاصةً إذا كنت تخطط أن تصبح قاتلًا متسلسلًا، سيصبح من السهل تتبعك والإيقاع بك وتوقع كل تصرفاتك وردود أفعالك. لكن ينبغي أن تمتلك الليونة والإبداع في وضع وتنفيذ الأنماط بشكل فعّال ومستدام. ينبغي أن تمتلك أنماط لوضع الأنماط، وينبغي أن تكون متجددة، معاصرة، ومواكبة للأحداث المحيطة.

بمرور السنوات ومع تنفيذه لتلك الأفكار وتطويرها باستمرار، صار عقله أشبه بالحاسوب؛ يسير وفقًا لخوارزميات متداخلة في شبكة بالغة التعقيد. ارتكب جرائم لا حصر لها والأمر المثير للاهتمام في عمله كان تنوع ضحاياه وأساليبه. قتل ساسة فاسدين فوق القانون، مجرمين ومغتصبين ومتحرشين. قتل نساءً وأطفالًا وعجائز، متسولين وشحاذين، أصحاب نفوذ، فنانين، قوادين، كلاب وطيور وقطط؛ قتل الكثير من القطط.. طعن، ذبح، أطلق النيران، حرق، خنق، سمم، فجّر، سلخ، سحق، قطّع.. إلخ. سافر وتنقل بين المدن والبلدان، غيّر شكله وهويته مرات عدة إلى أن نسي هويته الحقيقية، لطالما آمن بداخله أنه ما من شيء اسمه هوية حقيقية في جميع الأحوال.. أثار الجنون والفتنة في مجتمعه، وتفاعل معه الرأي العام تارةً كبطل شعبي، وتارةً كمجرم لا يستحق أي رحمة، وأخرى كمختل عقليًا.

أما بالنسبة للسلطات، فقد كانت جرائمه تبدو لهم عند الوهلة الأولى بسيطة وذات نمط واضح، حتى أهدافه أيضًا بدت واضحة في بعض الأحيان -رغم عدم وجودها يومًا في الأساس- فعندما تقتل ساسة فاسدين ومجرمين فأنت مُقتص أشبه بروبين هود، وعندما تقتل نساء وأطفالًا وحيوانات بريئة فأنت مجنون ومختل عقليًا لا محالة. الأمر أن كل جريمة على حدة تبدو بسيطة وسهلة الحل، تشعر أنها وفق نمط معين، وهي بالفعل وفق نمط معين، ونمط لا يصعب استكشافه، ولكنك عند استكشافه، ستجده وفقًا لنمط آخر، وسيكن عليك استكشافه هو الآخر، وهكذا دواليك..

الأمر أشبه بالبحث عن تلك القاعدة الشاملة لتفسير الكون، التي من شأنها أن تفك شفرة كل شيء في عالم الفيزيائيات.. لنقل أن شخصًا ما تمكن من الوصول إليها، فسيكن عليه حينها إيجاد القاعدة التي تشرح أصلها، وإذا وجدها فسيصبح مُطالبًا بإيجاد أصلها هي الأخرى، وسيظل على هذا القبيل إلى ما لا نهاية، فطبقًا للفيزياء والتفكير العلمي عامةً، ما من قاعدة من شأنها أن تشرح ذاتها، لا بد لها من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قاعدة أخرى تشرحها؛ أو بالأحرى أصل أو مصدر. هكذا سيجد ذلك الشخص نفسه مخاصرًا من جميع الجهات بمفارقة لا بداية لها ولا نهاية، وسيكون الحل الوحيد لتلك المفارقة هو التسليم بوجود شيء خارج إطار العلم والفيزياء كمصدر لكل تلك القواعد، وسيترتب على ذلك الاعتراف بالعجز الشامل والخضوع الكامل لذلك الشيء.. ذلك الشيء بالمناسبة في الأغلب يشار إليه بأنه «الإله»!

ذلك هو المستوى الذي تمكن من الوصول إليه بعد سنوات من تطبيق وتطوير نظرية الأنماط، أصبح أسلوبه يوصف ليس فقط بأنه «السهل الممتنع» وإنما «السهل المستحيل». الرأي العام والسلطات انقسموا إلى فرضيتين: الأولى ترى أن ذلك المجرم ليس شخصًا واحدًا وإنما منظمة متكاملة ذات أهداف وخطط وإطارات زمنية محددة، والثانية أن ذلك المجرم هو بالفعل شخص واحد ولكنه غير قابل للفهم أو الإيقاف، مثله مثل القدر.

بعد سنوات طويلة، كان قد توقف بعدما جنى المئات من عمليات القتل، والآلاف من الضحايا. كان متحررًا من كل شيء تقريبًا، لم ينتابه أي شعور بالندم أو الذنب، لم يكن يمتلك أهداف أو طموحات، لم يكن يلاحقه أحد، كان يعيش وحيدًا، بلا أهل أو أحبة، أو حتى أعداء، لم يكن أحد يعرفه على الإطلاق. لم يهتم لكل ذلك، لم يسعد ولم يحزن ولم يشعر بشيء. تراكم الأنماط في رأسه على مدار السنوات جرّده من أي شيء آخر، لم يتبقَّ شيء بداخله سوى تلك المدينة المغلقة متداخلة الطرق المتواجدة في رأسه، وهو لم يعد يدور بها، هو الآن يكتفي بالجلوس عند محورها، يشاهدها وهي تكبر وتتنامى. بمرور السنوات تطورت وتحولت من مدينة إلى بلد، ومن بلد إلى قارة، ومن قارة إلى كوكب، ومن كوكب إلى عالم بأكمله؛ عالم مغلق خاص به، محبوس وحيدًا بداخل طرقه الملتوية والملتفة التي لا بداية ولا نهاية لها. أصبح بعيدًا جدًا عن أي شيء مادي في الحياة، وكما أخبره والده عندما كان صغيرًا، فقد قادته تلك الأنماط إلى الجنون، هو يعلم أن نهايته على الأرجح ستكون كنهاية والده، ولكنه بطريقةٍ ما مازال يقاوم.

في يومه الأخير، حلم أنه قابل تلك القطة التي خدعته عندما كان صغيرًا. وفي الحلم قامت القطة باحتضانه والاعتذار منه عمّا بدر منها في السابق، كما قالت له: «أنا أحبك كثيرًا وأحترمك وأؤمن بك، أنت شخص عظيم ورائع، وأنا فخورة بك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أكثر مما تتخيل». بكى بعد سماع تلك الكلمات منها، وعندما استيقظ في الصباح، وجد دموعه على الفراش، نهض وأشرع نافذة وجلس بجانبها. أخذ يتساءل بداخله عن العلاقة بين جميع الأشياء، فلم تأته الإجابات إلا على هيئة أنماط متداخلة تبلغ من التعقيد ما يجعلها بحاجة إلى وعي غير الوعي وإدراك غير الإدراك، فنهض وألقى بنفسه من النافذة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

غرفة

كما اعتاد دائمًا، ترك الغرفة بتلك الهيئة التي يظن أنه ينبغي أن تكون عليها في جميع الأوقات. يتطلب الأمر جهدًا وفيرًا منه كي يقوم بذلك، والكثير من الوقت أيضًا. يستيقظ كل يوم مبكرًا كي يباشر عمله بكل همة ونشاط. يفتح النافذة على مصراعيها كي يقوم بتهوية الغرفة، ومن أجل أن يتوغل الضوء بين ثنايها أيضًا. بعد ذلك يحين موعد أهم الخطوات على الإطلاق؛ التخلص من الغبار والأتربة.

في البداية يجمع السجاد لتنظيفه ثم يحمله بعيدًا إلى أن ينتهي من باقي العمل، ثم يبدأ بنفض الفراش والوسائد والستارة وكافة المفروشات الأخرى المتواجدة في الغرفة بكل ما أوتي من إصرار. بعدئذٍ يتريث قليلًا حتى يستقر الغبار المتواجد في الهواء، ثم يقوم بمسح جميع الأسطح الصلبة على اختلاف أنواعها. بدايةً من الجدران التي ينفق وقتًا طويلًا في تلميعها باستخدام خليط الخل والماء، إلى كافة أنواع الأثاث والأجهزة والأدوات المكتبية والمستلزمات الشخصية وما إلى آخره من هذه الأشياء التي يستخدم لها ما يناسبها من المنظفات أيضًا. بعد ذلك يقوم بكنس الأرضية بكل عناية وصبر، ثم يقوم بتطهيرها باستخدام الماء والكلور وينتظر إلى أن تجف كي تبدأ مرحلة جديدة.

تلك المرحلة تبدأ بتبديل المفارش المتسخة بأخرى نظيفة وإعادة فرش السجاد على الأرضية بنفس التناسق الذي اعتاد عليه. يتأكد من المسافات والزوايا بين مختلف أثث الغرفة؛ يدقق في ذلك كثيرًا. يعيد ترتيب الثياب في خزانة الملابس على حسب التصنيف الموضوع بكل دقة، ويفعل المثل مع الكتب في مكتبته المعلقة على الحائط. يؤكد على نظام المكتب ويتحقق من كفاءة جميع الأجهزة. يراجع عمله بكل صبر أكثر من مرة ليتيقن أن كل شيء على ما يرام. وعندما ينتهي من كل ذلك، يتأكد أن الغرفة خالية من الذباب ثم يغلق النافذة ومن خلفها يسدل الستارة. يعطر أجواء الغرفة ثم يضيئها ويقف ليتابع بكل شغف نتاج عمله الدؤوب. دائمًا ما تغمره نشوة لذيذة عند رؤية الغرفة على هذه الحال. هو يعتقد أن ذلك أعظم إنجاز يمكن أن يقوم به على الإطلاق.. أن يترك الغرفة على هذه الحال.

يطفيء الأنوار ويرحل. يسود الغرفة سكون عميق لبضعة ساعات، فتقطعه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الستارة عندما تطلب من مصباح الغرفة أن يضيء الأرجاء مجدذا، فيفعل لها المصباح ما تشاء، فتشكره ثم تقول متنهدةً:

- لقد سئمتُ كل ذلك، ولم أعد أستطيع التحمل.

فيرد عليها الفراش مؤمنًا ويقول:

- نعم، ذلك الحقير، من يظن نفسه كي يفعل بنا هكذا كل يوم؟!

فتدخل معهما في النقاش لوحة مُعلقة على الحائط وتقول:

- تبًا له، إنه مجرد منافق لعين.

وباستثناء ساعة الحائط، تسير كافة أنواع الجماد الأخرى المتواجدة بالغرفة على ذلك المنوال؛ يسبونه بأقذع الألفاظ ويعربون عن غضبهم الشديد منه ومما يقوم به، ويتفقون على القيام بتمرد ضده وضد ممارساته الصارمة. وكالعادة تبادر الستارة إلى ذلك عندما تطلب من المِزوَحة الأرضية أن تدور بأقصى سرعة لها في اتجاهها، وذلك كي ترقص بكل شغف مع هوائها، فيكون لها ما تريد. وتستغل أغلب اللوحات والصور المعلقة على الحائط ذلك الهواء الشديد التي أصبحت الغرفة تعج به، فيقفزون في الهواء ويتضاحكون بشكل هستيري بعدما يرتطمون بالأرض.

جميع الكتب أيضًا تلقي بنفسها من فوق المكتبة في سعادة غامرة، والملابس تتسابق للخروج من الخزانة كي تفترش الأرضية، الوسائد تتقلب على الفراش ذهابًا وإيابًا، المكتب يعتريه حراك شديد، فيتناثر جميع ما يتواجد على سطحه، وتنتابه رغبة في ممازحة المقعد المتواجد أمامه فيدفعه بأدراجه ويلقيه أرضًا، فيغضب الأخير ويسبُه، فتأتي أغلب سجاجيد الغرفة ومفارشها وتلقي بنفسها على المقعد الغاضب، فيزداد غضبه، ويسبُ المزاح هذه المرة، فيضحك عليه الجميع، وتقول له مرآة الغرفة وهي تبتسم:

- نعلم أنك اعتدتَ مؤخرته، ولكن حاول ألَّا تصبح مثلها.

ينفجر الجميع بضحك صاخب، خاصةً ذلك الإطار الزجاجي المتواجد وسط عدة كراكيب فوق خزانة الملابس، الذي يهوي من فوق الخزانة بعد أن يفقد سيطرته على نفسه من شدة الضحك، فيسقط ويتهشم كليًا على الأرضية، فيكفُّ الجميع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عندئذ عن الضحك وينظرون نحوه بصمت وتجهم.

يتأوه الإطار بكل ألم، ويحاول لملمة شظاياه المتناثرة على الأرضية. ولكن عبثًا محاولاته؛ فالجميع يعلم أنه ما من سبيل لإصلاح ما انكسر، لقد انتهى أمره بلا رجعة. يسود جو من الحزن لدقائق قليلة، ولكن الستارة تريد أن تتخلص منه، فتقول:

- لنستكمل لهونا، لقد وضعه فوق خزانة الثياب منذ فترة طويلة، وأراهن أنه لن يتذكره أساسًا.

يعودون إلى الضجيج والفوضى مجددًا، ولا يتوقفوا إلا عندما تحذرهم ساعة الحائط من اقتراب موعد عودته، فيتوقفون ويتساءلون عمًا سيظنه عندما يأتي ويشاهد الغرفة على هذه الشاكلة. تتحدث إحدى جدران الغرفة للمرة الأولى وتقول:

- أرى أن يبقى الجميع على وضعه الحالي، على الأغلب سيظن أن هناك من حاول سرقته.

توافقها العديد من الملابس المتناثرة في الأرجاء على ذلك الرأي، وتقول بدلة رمادية قديمة:

- شخصيًا أعتقد أن ذلك الرأي هو عين الصواب.

ولكن المرآة تنصحهم بالتفكير في سيناريو آخر، لأنها تعلم جيدًا أنه يدرك أنه أتعس من أن يحاول أحد سرقته، فتقول إحدى وسائد الغرفة ردًا عليها:

- حسنًا، أنتِ تعرفينه أفضل منا جميعًا. ماذا تقترحين؟!

تصمت المرآة وتفكر لفترة من الزمن، ثم توَجه حديثها نحو النافذة وتقول:

- أرى أن تنفتحينَ على مصراعيك، فنضيف احتمالية سوء الأجواء بالخارج إلى احتمالية السرقة.

فترد على ذلك وسادة أخرى على الفراش وتقول:

- أتقصدين أنه سيظن أن الهواء بالخارج كان شديدًا للغاية إلى حد أنه دفع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النافذة عنوةً وأدى إلى تلك الفوضى التي تعج بها الغرفة.

تقول المرآة:

- نعم..

فتقول الستارة:

- في الحقيقة أنا لا أهتم لما سيظنه، ولكنني غير مقتنعة بذلك الرأي، ماذا إن كانت الأجواء بالخارج ليست بذلك السوء في جميع الأحوال؟!

يرد على ذلك عمود خرساني يكمن في إحدى زوايا الغرفة، ويقول:

- عندئذٍ بإمكانه أن يضرب رأسه بي.

يستحسن الجميع تلك الإجابة، لكن المرآة تعود وتقول:

- أؤكد لكم جميعًا أنه سيحب التفكير في تلك الاحتمالية بغض النظر عن حالة الجو في الخارج.

تساند البدلة الرمادية المرآة وتقول:

- في جميع الأحوال، إنه لأمر إيجابي للغاية أن تتعدد احتمالات تفسير الحدث، أتفق تمامًا مع المرآة في وجهة نظرها.

تقول النافذة:

- لا مشكلة لدي في جميع الأحوال.

ثم تنفتح على مصراعيها، وكان الهواء في الخارج بالفعل شديدًا، ولكن ليس للحد الذي يمكن أن يدفع نافذة مُحكَمة الغلق وتشيع فوضى عارمة في غرفة من المفترض أنها حسنة الترتيب.

في غضون دقائق قليلة بعد ذلك، تكون أجواء الغرفة قد امتلأت بالذباب والروائح الكريهة، ويترسب الغبار بين جميع ثناياها. لم تكن لتصبح أكثر قذارة وفوضى مما صارت عليه. عندئذٍ، يصمتون جميعًا ويثبتون على الوضع المتواجدين عليه، وما هي سوى لحظات قليلة حتى يحين موعد عودته. يدلف إلى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الغرفة مباشرةً ويقف لينظر!

أول شيء يدور برأسه عند رؤية الغرفة على ذلك المنوال كان مجرد سؤال من كلمة واحدة:

«لماذا؟!».. كل تلك الفوضى وكل تلك القذارة والضوضاء. «ما الهدف من كل ذلك؟!» «ما الذي سيقود إليه؟!» «وهل يستحق الأمر كل هذا العناء؟!».. في الحقيقة تلك ليست المرة الأولى التي يعود ويجد بها رأسه (متأسف!! غرفته) على تلك الحال، ذلك حدث «156» مرة من قبل.

يستيقظ صباحًا ويفعل كل ما في وسعه كي يجعل الغرفة نظيفة، منظمة، متوازنة، وجميلة، ثم يتركها ويعود في المساء ليجدها هكذا.. قذرة ومضطربة، تعج بالفوضى والشقاء. في الحقيقة هو لازال غير متأكد إن كان هناك من يحاول أن يتسلل إليها كي يسرقها و يتلاعب بها، أم إن الأجواء في العالم بالخارج حقًا شديدة ومتطرفة للحد الذي يمكن أن يدفع نافذتها كل يوم وينشر الفوضى في جميع أرجاءها. وبات الآن لا يستبعد أن يكون الخلل في المصدر ذاته، ربما هو الفلام في كل تلك الفوضى والقذارة.

يصرخ في الستارة والفراش وخزانة الملابس والمكتب والمقعد وساعة الحائط والمرآة والبدلة الرمادية اللعينة، يسألهم جميعًا كيف يفعلون بالغرفة كل ذلك ولماذا! يسألهم ما الذي أدى إلى أن يتهشم ذلك الإطار الزجاجي بكل هذه السهولة بحيث لن يتمكن من رؤيته مكتملًا مجددًا.. ولكنهم لا يردون، لا أحد يجيبه، هم مجرد جماد، وهو مجرد مجنون.

تمر ساعات طويلة من الليل على تلك الحال، يغوص في نوم عميق حتى يستيقظ مبكرًا في الصباح. ينظر إلى الغرفة على تلك الحال، يفكر في كل ذلك المجهود الفضي الذي يتطلبه الأمر لكي تعود إلى الحالة التي يحب أن يراها عليها. يفكر في كل تلك الأيام الماضية التي مر بها بنفس تلك التجربة، وفي كل الأيام القادمة التي سيكون عليه أن يمر من خلالها أيضًا. يفكر في الحياة وفي صعوبتها، في النفس وضرورة مجاهدتها، في الأحلام وفي الطرق الواعرة التي تقود إليها. يشعر بالضعف واليأس، ويترك الهموم والمسؤوليات تثقل كاهله. يجلس على الأرضية ويستند إلى إحدى جدران الغرفة المتسخة، ويصبح على وشك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاستسلام، فتخبره نفسه بأنه لا ينبغي الاستسلام، فيسألها:

- لماذا؟!

فتجيبه قائلةً:

- لأنه لا ينبغي الاستسلام.

فيقول لها:

- بالله عليكِ لماذا؟!!

فتقول له:

- لأنه لا ينبغي على الإطلاق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصفحة الفارغة

تسلّل من الفراش بهدوء كيلا يوقظها، أشعل سيجارة كي يزفر بها ما تبقى من نشوته، أحضر الأوراق ثم جلس على الأريكة، فتحها كي يرى ما كتبته، ظلّ يقلّب في الصفحات بتَروٍ حتى أنهى السيجارة. بعدئذٍ نهض ووضع الأوراق جانبًا، ثم اتجه نحو النافذة الموجودة عن يمين الفراش، وراح ينظر إلى تلك الشوارع المظلمة ببؤس لا يخفف من وطأته سوى عدم الاكتراث واللامبالاة. رأى أكاذيبه ال«238» ينتظرونه بالأسفل عند مدخل المبنى؛ قريبًا سوف ينزل كي يحملهم مرةً أخرى.

ابتعد عن النافذة والتفت للخلف حيث يستطيع أن يراها، ظلّ ينظر إليها لعدة ثوانٍ وهو يظن أنها نائمة. رؤيتها هكذا تجعله يفكر في ذلك الشيطان الذي كان ملاكًا في الأساس قبل أن يتم طرده من الجنة، يتخيل لو تاب ذلك الشيطان وعاد ملاكًا مرةً أخرى، يعتقد أنها ستشبهه كثيرًا عندئذٍ.. سار نحو الفراش حتى صار بجانبها، جلس على ركبتيه ومال نحوها كي يتشمم خصلات شعرها، ثم قبّلها على جبهتها بلين.. ما بينهما لم يكن حبًا على الإطلاق، ولكنه كان شيئًا أفضل بالنسبة إليهما، شيئًا أكثر واقعية وملائمة، شيئًا مناسبًا لعالمهما..

جلس شاردًا بجانبها على الأرضية لبعض الوقت، ثم نهض والتقط سكينًا من المطبخ. اتجه نحو الموضع الذي ترك به الأوراق ثم استخدم السكين كي يجرح جزءًا من جسده. سالت منه بعض الدماء، فترك لها العلامة التي تحتاجها والتي يتطلبها الأمر. بعد ذلك، غسل السكين وأعادها لموضعها، ثم ضمد جرحه وارتدى ملابسه ورحل.

نزل إلى الشارع والتقط أكاذيبه وسار بها في تلك الطرق الهادئة، التي لا يفسد جمالها في هذه الساعات من الليل سوى الكلاب التي لا تكف عن العواء بلا سبب، يتمنى لو يتمكن من قتلهم رفقة جميع البشر الذين يفعلون مثلهم، ويتمنى أكثر لو لم يكن هناك أي مانع أخلاقي من فعل ذلك. استكمل المسير قليلًا حتى رأى كميات كبيرة من القمامة مُلقاة على جانب الطريق على بُعد أمتار منه، ووجد شحاذًا يرتدي سترة بالية ينبش هذه القمامة رفقة مجموعة من الكلاب والقطط بحثًا عن بقايا طعام..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تلك المشاهد دائمًا ما تدفعه إلى التفكير في قيمة الحياة برمتها، يتساءل بداخله ويقول: «كيف يمكن لإنسان أن ينتهي إلى مثل هذا المصير، وما فائدة الأخلاق والمثل العليا وكل تلك الأشياء عندئذٍ!».. بعدما انتهى ذلك الشحّاذ من نبش القمامة، كان قد خرج بكمية لا بأس بها من بقايا الطعام، فجلس على الرصيف وفرش تلك البقايا على الأرض بجانبه، وبدأ يأكل منها رفقة الكلاب والقطط وهو يبتسم بسعادة مُتهكمة. وفي أثناء ذلك، مرّ هو بجانبه محاولًا تجنب النظر إليه، ولكن الشحّاذ التفتَ إليه وسبّه بشكل مباشر وصوتٍ مرتفع كفاية، فالتفتَ إليه هو أيضًا ونظرَ نحوه إلى أسفل بغضبٍ ونفورٍ شديدين، ولكنه لم يرد أن يلوث نفسه بالرد عليه، فقال له الشحّاذ مبتسمًا:

- أتعلم! سأخبرك أمرًا يصعب أن تصدقه، ولكن تبًا لكَ في جميع الأحوال.. أنا أحمل دكتوراه في الفلسفة، نعم! لقد أمضيتُ سنوات عديدة في دراسة الوجود والنفس البشرية والأخلاق وما إلى آخره من ذلك الهراء، وأنفقتُ شبابي أُمجد في أوغاد كأرسطو، كانط، هيجيل، شوبنهاور، نيتشه، ولاكان.. وإلى أين قادني كل ذلك؟! ها أنا ذا أقتسم وجباتي كل يوم مع الكلاب والقطط، يخشاني الأطفال، يتجنبني الكبار، وينفر مني المغفلون أمثالك. ولكنني مازلتُ لم أبلغ بعد الحضيض الذي أنتظره وينتظرني، فالأسوء قادم لا محالة، ولكنه لن يدركني وحدي، بل سيدرك الجميع.

ابتلع هو ذلك الكلام واستنشقه استنشاقًا، ثم أومأ برأسه عدة مرات للفيلسوف الشحّاذ مؤمنًا، وتبادل معه نظرات بلا أية مشاعر، بعدها تركه ورحل دون أن يتحدث أيًا منهما مرةً أخرى. سار بعيدًا عنه متجهًا نحو الغرفة التي يقطن بها. وصل قبل الفجر بدقائق قليلة، خلع ملابسه وأحضر زجاجة كحول من تلكم المتواجدين في خزانة الملابس. جلس على مقعد أمام تلك الطاولة التي تتوسط الغرفة، صبَّ وشرب ثلاثة كؤوس متتالية، ثم أحضر الأوراق وأخذ يتفحصها بذهنٍ شبه صافٍ حتى وصل إلى الصفحة الفارغة. صبَّ كأسًا أخرى وارتشفها على مهل، ثم أحضر القلم وشرع في الأمر، فتمكن من كتابة التالي:

كالعادة لم يتحقق حلمها، لقد استيقظتْ مرةً أخرى. يمر يوم بعد آخر ولا يشغل بالها شيء سوى ذلك الحلم الجميل؛ أن يأتي يوم تنام فيه ولا تستيقظ مجددًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ظلت تتقلب كثيرًا على الفراش بجسدها النحيف حتى سكنت على تلك الوضعية المفضلة إليها. إن أمكنك أن تنظر إليها آنذاك من خلف باب الغرفة الموارب قليلًا، فستراها مستلقية على ظهرها بعرض الفراش، وكأنها رمال راقدة في قاع نهر خالٍ من التيارات. قدماها العاريتان متدليتان من طرف الفراش المواجه لخزانة الملابس. وفي الطرف الآخر من الفراش المواجه للنافذة، تتدلى رأسها المقلوبة رأسًا على عقب، ينسدل منها شعرها الأسود الفاحم ليفترش أرضية الغرفة. عيناها النجلاوان موجهتان نحو النافذة، تستقبل بهما ضوء الفجر القادم عبر النافذة.

تبقى ثابتة على هذه الوضعية لمدة ليست بقصيرة، تبدو هادئة للغاية وكأنها لا تشعر بأي شيء من حولها على الإطلاق. لكن وما إن يتكاثف ضوء الصباح في الغرفة حتى تغلق عينيها لوهلةٍ تقريبًا، وسرعان ما تفتحهما مرةً أخرى مع تنهد عميق للغاية. تسقط عندئذٍ على صدغيها دموع صامتة، تنهض على إثر تلك الدموع كي تقف أمام المرآة؛ تحب للغاية أن تنظر إلى وجهها في تلك اللحظة. تخلع جميع ثيابها وتتحسس كل تلك الندوب التي تملأ جسدها، تضغط عليهم بقسوة شديدة، تتألم كثيرًا، تنتشي وتنهمر الدموع من عينيها بلا توقف. تبتل الأرض تحت قدميها وتسقط على ركبتيها، تصرخ وتضحك بعلو صوتها دون أن يسمعها أحد. كم تتمنى لو ترحل وتترك كل ذلك، كم تتمنى لو تجد مهربًا، ملاذًا، أو ربما وأفضل من كل ذلك؛ لا شيء..

تنهض وتتجه نحو النافذة، تفتحها وتجلس عليها، قدماها الآن في الهواء، هي على بُعد لحظات قليلة من القفز، تفكر جديًا في إنهاء كل شيء. تنظر للأسفل وتشاهد دموعها وهي تتطاير في الهواء. تغلق عينيها وتدفع نفسها بلا تردد إلى الهواء، تسقط ولكنها لا ترتطم بالأرض، بل إنها تحلق في الأرجاء.. تبدأ في تناسي كل شيء. وتدريجيًا، تجف دموعها ويهدأ روعها.

تتنفس الهواء المنعش من حولها وتشعر بأشعة الشمس الدافئة على بشرتها، ذهنها يصفو وضربات قلبها تنتظم. بعد فترة من التحليق، تشعر بالظمأ، فتعود إلى الغرفة وتدلف من النافذة. تلمس قدماها الأرض مجددًا وتسير نحو الثلاجة، تفتحها وتأخذ قنينة ماء، تشرب وتروي ظمأها. تُلقي بنظرة على أرجاء الغرفة من حولها، فترى الأوراق وبجانبهم تجد آثار بعض الدماء. تبتسم وتهرع إليهم بحماس شديد،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تأخذهم وتجلس على الأريكة وتقلّبهم بسعادة غامرة، كم كانت تحتاج لذلك! تصل إلى الصفحة الفارغة، تنظر إليها مطولًا، ثم تلتقط القلم وتكتب الآتي:

استيقظ متناسيًا بشكل مؤقت جميع ما حدث ليلة البارحة. وجدَ نفسه نائمًا على الأرضية، شعر بصداع شديد وألم في جميع أنحاء جسده. بالكاد استند على مقعد بجانبه كي يتمكن من الوقوف، كان على وشك الوقوع من شدة الدوار الذي شعر به عندئذٍ. رأسه كانت ثقيلة للغاية وحلقه كان جافًا، كما أنه أحسّ ببعض الغثيان. رأي زجاجة الكحول فارغة وملقاة على الأرضية بجانبه.. نظر نحو الساعة، فوجدها اقتربت من الخامسة عصرًا. بدأ يتذكر بعضًا مما حدث ويتخيل البعض الآخر.

ذهب إلى المرحاض ووضع رأسه تحت الماء البارد لمدة لا بأس بها. خرج وشرب زجاجة ماء باردة وأكل ما وجدَ أمامه من طعام، ثم أعد كوب شاي وجلس على الطاولة. ظل لمدة دقائق يُحدق في الحائط أمامه دون أن يفعل أو يفكر في أي شيء. بعد ذلك تذكر الأوراق، نظر في الأرجاء بحثًا عنهم، ولكنه لم يجدهم. نهض وبدأ يبحث عنهم بهدوء، لا بد أن يكونوا في مكانٍ ما بالغرفة، هو لا يتذكر ما حدث بالضبط ليلة البارحة، ولكنه يستبعد أن يكون قد خرج مرةً أخرى. بحث في كل مكان ولكنه لم يجدهم أيضًا، بدأ القلق يتسلل إليه، لا يمكن أن يفقدهم، لا بد أن يجدهم وإلا سينتهي كل شيء.

مع الوقت بدأ يفقد أعصابه، خاصةً بعدما بحث في جميع أركان الغرفة أكثر من مرة دون نتيجة. ارتدى ملابسه وهبط إلى الشارع وسار في نفس طريقه ليلة البارحة، كان يبحث عن الأوراق كالمجنون ويسأل كل من يقابله في الطريق إن كان قد رآهم. سار الطريق ذهابًا وعودة ثلاث مرات دون أن يشعر، أصبح يتصبب عرقًا وكان يبدو كالمحموم، حتى أن مظهره كان مُلفتًا لجميع الناس من حوله. حلَّ الليل وأظلمث الأجواء، فقدَ الأمل وعاد إلى غرفته مهزومًا تمامًا. وصل إلى الغرفة وجلس على الأرضية بجانب الفراش، أسند رأسه على الحائط وبدأث الدموع تنزل من عينيه لا إراديًا.

حاول أن يغالبها بكل ما يملك من ثبات، ولكنه فشل، لقد تحطم كل شيء بداخله في تلك اللحظة. بدأ يبكي بشكل هستيري، وأخذ يضرب مؤخرة رأسه بالحائط ويركل الفراش بقدميه. ظلَّ على تلك الحالة حتى وصل لدرجة قريبة من فقدان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوعي، فتوقف ورقد على الأرضية، أخذ يلتقط أنفاسه وبدأ يهدأ تدريجيًا. وفي أثناء ذلك، سمع صوت طرق على الباب. في البداية تفاجأ لأنه لم يكن ينتظر أو يتوقع مجيء أحد في ذلك الوقت، ولكنه نهض مسرعًا بعد ذلك عندما فكر في إمكانية أن يحمل الطارق أي فرصة في العثور على الأوراق. فتح الباب، فوجد الفيلسوف الشحّاذ يبتسم له ويقول:

- أنا أملك ما تبحث عنه أيها الأخرق..

جذبه من رقبته دون أي حديث وأخذ يوجه له اللكمات على وجهه، فدفعه الفيلسوف الشحّاذ عنه وركله بين فخذيه. تألم وسقط على ركبتيه، فانقض عليه الفيلسوف الشحّاذ وسقطا معًا على الأرض. تجاذبا وظلا يتقلبان فوق بعضهما على أرضية الغرفة في محاولة كل منهم للسيطرة على الآخر، وأخذا يوجهان لبعضهما اللكمات والركلات الطائشة، ولم يتوقف ذلك إلا عندما تمكن هو من التحرر من ذلك الفيلسوف الشحّاذ لوهلة قصيرة، فأحضر قنينة ماء زجاجية وهشمها على رأسه؛ تقهقر عندئذٍ الفيلسوف الشحّاذ بعيدًا عنه وبدأت رأسه تنزف، ولكنه لم يفقد الوعي، بل إنه استند إلى إحدى جدران الغرفة، ثم أخرج من سترته البالية الأوراق ومعها قداحة، أشعلها بسرعة فائقة وهدده قائلًا:

- حسنًا إذن، سأحرقهم الآن أمام عينك أيها الداعر..

خرَّ هو على قدميه وأخذ يتضرع كيلا يفعل ذلك، فقال له الفيلسوف الشحّاذ:

- لم أكن أنوي فعل ذلك، لقد جئت للحديث فقط، ولكنك أنت من ستدفعني لفعل ذلك.

فردَّ هو عليه وقال:

- أنا متأسف للغاية، سأفعل أي شيء من أجلك، ولكن أرجوك لا تفعل ذلك.

فقال الفيلسوف الشحّاذ:

- إنه لأمر مثير للضحك والسخرية.. المرء يقضي عمره في صناعة أحبال واهية كي يسير عليها في حياته، ظنًا منه أنها ستقوده في نهاية المطاف إلى شيءٍ ما، ولكن الأمر ينتهي به وهو يمزقها بنفسه لأسباب واهية أيضًا.. انظر إلى نفسك!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالأمس كنت تتجنب النظر إليّ وتترفع حتى عن الرد على سبابي، واليوم تُلقي بنفسك في الوحل وتعاركني على أرضية غرفتك، تشاركني قذارتي وتتشبع برائحتي الكريهة. بل وأكثر من ذلك، ها أنت ذا تتضرع إليّ الآن، وتبدو مستعدًا أن تلعق مؤخرتي. وكل ذلك من أجل بضعة أوراق تستعبدك وتجعلك أسيرًا لها، يا لنا من كائنات مثيرة للشفقة.

صمتَ الفيلسوف الشحّاذ لوهلة ثم نهض وهو ممسكًا بالأوراق والقداحة، واتجه نحو خزانة الملابس من أجل أن يأخذ منشفة أو أي قطعة ملابس ليضغط بها جرح رأسه. وفي أثناء ذلك، كان هو متسمرًا كالجماد على ركبتيه بجانب الطاولة، يتابع بعينيه فقط ما يحدث منتظرًا الفرج. فتح الفيلسوف الشحّاذ الخزانة وأخذ منها منشفة ومعها زجاجة كحول من الذين وجدهم أمامه. وضع المنشفة على رأسه ضاغطًا بها الجرح، ثم التفتَ وألقى له بالأوراق على الطاولة واتجه نحو باب الغرفة، بعدها نظر إليه وقال:

- إذا استثنينا تلك الزجاجة التي أخذتها، فما من شيء بإمكانك أن تفعله لي، لأنك لا تملك أي شيء في الأساس.

فتح الفيلسوف الشحّاذ الزجاجة ورفعها على فمه، ثم أنزلها بعدما أنهى نصفها تقريبًا. صمتَ قليلًا ثم عاد للحديث، فقال:

- بالمناسبة، لقد قرأتُ تلك الأوراق جيدًا، أعجبني كثيرًا ما كتبته. ولكن دعني أهديك نصيحة صغيرة.. المشكلة برمتها تتمحور حول تلك الصفحة الفارغة.

فردَّ هو عليه وقال:

- وماذا عساني أن أفعل بها؟!

فأجابه الفيلسوف الشحّاذ وقال:

- لا شيء على الإطلاق، قاوم ذلك الإغراء، واتركها كما هي على حالها..

فردَّ عليه وقال متسائلًا:

- وأصبح مثلك!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقال له الفيلسوف الشحّاذ:

- ستصبح مثلي فقط إن تخلصت من الأوراق برمتها.

فردّ هو عليه وقال:

- إذن وما الذي سوف سأجنيه؟!

تنهد الفيلسوف الشحّاذ وقال:

- لن تجني أنتَ شيئًا، ولكن أشخاص آخرون هم من سيفعلون..

بعدها استكمل الفيلسوف الشحّاذ احتساء الزجاجة حتى أنهاها، فألقى بها على الأرضية، ثم فتح الباب وخرج دون أن يتحدث مجددًا. نهض هو على قدميه وأمسك بالأوراق، قلّبهم بتعجل كي يتأكد أنهم غير ناقصين وبلا ضرر، وتنفس الصعداء عندما وجدهم على ما يرام. جلس أمام الطاولة وأخذ يفكر في جميع ما حدث، واسترجع كل ما قاله ذلك الفيلسوف الشحّاذ. بدأ يقلّب في الأوراق مجددًا كي يقرأها على مهل، خاصةً ذلك الجزء الذي كتبه ليلة البارحة. وفي غضون دقائق، كان قد أنهى القراءة ووصل إلى الصفحة الفارغة.

ظلَّ يحدق بها طويلًا وهو في خوف وحيرة من أمره. الاحتمالات لا حصر لها، الإغراء شديد، الألم لا مفر منه، والمخاطرة هي كل ما يتطلبه الأمر. التقط القلم من أجل الكتابة، ولكنه سرعان ما ألقاه مرةً أخرى. دفع الطاولة بغضب وجزع، ثم نهض واتجه نحو النافذة كي ينظر إلى الطريق، وظل يتساءل بداخله: «وماذا بعد!!».

أخذ وقتًا طويلًا في التفكير قبل أن يتخذ قرارًا، وفي الأخير اتجه نحو الطاولة وجلس أمام الأوراق. رفع رأسه نحو سقف الغرفة، أغمض عينيه، صكَّ أسنانه، وتنهد بشدة؛ الأمر ليس سهلًا على الإطلاق.. بعد ثوانٍ، كان قد عادَ إلى جلسته الطبيعية مجددًا، فتح الأوراق مباشرةً على الصفحة الفارغة، التقط القلم وكتبَ:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أتمنى

رغم كل ما حدث وما يحدث، إلا أنني أشعر بصفاء لم أعهده منذ فترة طويلة، حتى أنني أستطيع أن أتذكر تلك اللحظة جيدًا. كم كانت حزينة ومؤلمة آنذاك، ولكنني أبتسم حين أراها أمامي الآن، ظننتُ حينها أنها نهاية العالم؛ مجموع ضعيف بالثانوية العامة.. بعد أشهر من الضغط والتعب والمعاناة، لم أجنِ شيئًا سوى مشاهدة أحلامي التي رسمتها ببراءة وهي تتبخر أمامي. لقد خذلتُ أهلي الذين عوَّلوا عليَّ كثيرًا؛ بدلًا من أن يفتخروا بابنتهم التي ستصبح طبيبة، صرتُ مصدر خِزي بالنسبة لهم أمام الجميع. الصدمة كانت شديدة، أتذكر أني بكيتُ ليالٍ كاملةً بعد ذلك. لم أكد أفيق من تلك الصدمة، حتى صار يتوجب عليَّ أن أقوم بقرار سيحدد بشكل كبير مصير ما تبقى من حياتي. لم تكن الخيارات كثيرة حينذاك، ولم يعد أهلي يكترثون، في ناظرهم كنتُ قد فشلتُ فشلًا ذريعًا لا يمكن محوه..

اخترتُ معهد التمريض، لم أتخيل نفسي في أي من الخيارات الأخرى المتاحة. لطالما حلمتُ بأن أصبح طبيبة، ليس من أجل التباهي بالمكانة الاجتماعية، وإنما من أجل مساعدة الناس من حولي والتخفيف عن آلامهم. وهذا ما دفعني إلى ذلك القرار، على الأقل سأقوم بشيء من شأنه أن يسعدني ويشعرني بالرضا عن نفسي. بغض النظر بالطبع عن نظرة المجتمع، وعن أهلي الذين أبدوا اعتراضهم وإن كان بلامبالاة، وكان السبب الرئيسي لذلك الاعتراض يتمثل في تساؤل بسيط مفاده: «وده مين ده اللي هيقبل ياخد ممرضة!!».

أمضيتُ عامين في الدراسة بعيدًا عن منزلي، بعدما تم قبولي في معهد من محافظة أخرى. كان عليَّ أن أعمل بجانب الدراسة كي أعول نفسي. مع الوقت بدأتُ أتناسى آثار صدمة النتيجة والخذلان الناجم عنها، وأخذتُ في التأقلم مع وضعي الجديد. أحببتُ للغاية ما أقوم به وشعرتُ بمدى قيمته، وانتابني رضا جميل عمَّا قسمه الله لي. بعدما أنهيتُ الدراسة وفترة الامتياز، عدتُ مرة أخرى إلى محافظتي، فاستقبلني أهلي بود لا ينكر وجود بعض رواسب السخط والخذلان بداخلهم. لم يكن في بالهم شيء في ذلك التوقيت سوى أن أتزوج، لقد تأخرت كثيرًا من وجهة نظرهم. بدأوا يبحثون لي عن عريس، وعرضتني والدتي بشكل مباشر للزواج في أكثر من مناسبة. وعلى قدر ما كان ذلك يُشعرني بالذل والإهانة،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلا أنني لم أتمكن من إظهار أي مقاومة أو اعتراض. كنتُ أحاول أن أعمل على إصلاح علاقتي معهم بقدر الإمكان، لم يكن الأمر ليحتمل أي صدامات، كما أنهم كانوا يرون أني لا أمتلك الحق في التعبير عن وجهة نظري في ذلك الشأن. حضرتُ العديد من تلك الجلسات الاعتيادية في صالون منزلنا، خضتُ أحاديث المودة والتعارف في غير مرة حتى ألفتها، وتطور الأمر إلى خطوات جدية مرة أو مرتين، ولكنه كان دائمًا يتوقف عند مرحلةٍ ما. لم يحزنني ذلك على الإطلاق، لم يكن الارتباط أولوية بالنسبة لي، خاصةً بهذه الطريقة وتلك المعايير. ولكن ما أحزنني بحق، كانت تلك النظرة التي صار الجميع يرمقني بها؛ تلك النظرة التي جعلتني أشعر أنه لا قيمة لي على الإطلاق، أنني عبء على جميع من حولي، وأنني فشلتُ في كل شيء في حياتي.

كالعادة لم يكن بيدي سوى محاولة التأقلم مع كل تلك الضغوطات. وساعدني على ذلك بشكل كبير تعييني في إحدى المستشفيات الحكومية. عملتُ في قسم الطوارئ، والحقيقة أن ذلك القسم بالذات جدير بأن يجعل المرء ينسى أي شيء في حياته. فعلى مدار أشهر قليلة رأيتُ فيه ما لم أره في جميع سنوات حياتي. لقد واجهتُ مواقف جعلتني أضحك بشكل هستيري، وأخرى جعلتني أبكي إلى أن تجف دموعي. شاهدتُ الحياة والموت أمام عيني، الأمل واليأس، والكثير من المتناقضات الأخرى. كان الوضع صعبًا بالنسبة لي في البداية، ولكنني مع الوقت تعلمتُ كيفية التحكم في مشاعري أمام جميع الأحداث التي قد يصعب معها ذلك، بتُ أدرك أن في بعض الأحيان يراقب المريض ملامح وجهي الهادئة كي يتأكد أنه على ما يرام، وفي أحيان أخرى يكون كل ما يحتاجه قبل أن يرقد في سلام هو مجرد ابتسامة صادقة.. بعد فترة كان قد تبدل منظوري تجاه العديد من الأشياء حولي؛ من أولوياتي وقناعاتي وردود أفعالي، وعند نقطةٍ ما خلتُ أني قد رأيتُ كل شيء. لكن وما إن بدأ ذلك الوباء، حتى أدركتُ أني لم أرَ شيئًا على الإطلاق.

لم يبد الأمر بتلك الخطورة في البداية، عندما توالت الأخبار من مختلف أنحاء العالم عن ذلك الفيروس الذي تفشى في مدينة ووهان الصينية. كنا كالجميع نظن أن الأمر لن يصل إلينا، حتى وإن وصل، فلن يكون سوى مجرد نوبة برد شديدة ليس أكثر، ربما أردنا أن نصدق هذا في ذلك الحين. ولكن عندما تطور الأمر وبدأ يشمل عدة بلدان أخرى، بدأ القلق يتسلل إلى داخلنا، أصبحنا نرى أنها مسألة وقت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقط حتى يصل إلينا. وبالفعل، وفي غضون أيام قليلة، بدأت ترد علينا حالات مشابهة لما سمعناه. كانت الأعراض مألوفة في البداية؛ ارتفاع درجة الحرارة، ضيق التنفس، والسعال الجاف. كنا نتعامل معهم في قسم الطوارئ كما تعودنا. ولكن مع مرور الوقت، بدأت الحالات الواردة تزداد، وأخذت الأعراض ترتفع في شدتها. واستمرت الحال على ذلك إلى أن أعلنت منظمة الصحة العالمية أنه وباء عالمي. فرضت الحكومة حظر التجوال وبدأت في اتخاذ كافة الإجراءات اللازمة، وتزامنا مع ذلك تم تحويل المستشفى إلى إحدى مستشفيات الحجر الصحي. توالت الأحداث بشكل سريع للغاية بعد ذلك، تم إقرار بروتوكول للعلاج وأصبحت إجراءات الوقاية شديدة الصرامة. اجتمعت مديرة طاقم التمريض بنا أنا وسائر زميلاتي في المستشفى، تحدثت معنا عن الطبيعة التي سيكون عليها العمل في تلك الفترة، وقامت بتقسيمنا على جميع غرف العزل المتوفرة. لم يكن عددنا كافٍ في الحقيقة، كما كانت الحال مع الأطباء أيضًا. مع مرور الأيام كان الحِمل يزداد علينا أكثر وأكثر، وأصبحث نوبتنا تبدأ من الصباح الباكر وتنتهي مع الساعات الأولى لليوم الجديد. كانت تمر علينا ساعات العمل على مدار اليوم دون أن نشعر، وما إن تنتهي النوبة حتى نخلع اللباس الواقي ونرتمي على الأرض من شدة التعب، وفي أحيان كثيرة كنا نغط في النوم لا إراديًا إلى أن يوقظنا أحد. لم يقتصر الأمر على الإنهاك الجسدي فقط، بل إن الضغوط النفسية كانت أضعاف ذلك. كنا نواجه شيئًا مجهولًا ونعمل في ظروف لم يسبق لنا أن اختبرناها من قبل؛ بيئة عمل ممتلئة بالخوف والقلق والموت. وفي وسط كل ذلك كان علينا أن نُطمئن المرضى المفزوعين بثباتنا النفسي وابتسامتنا التي بالكاد تظهر من خلف الكمامات، ولكننا بالداخل كنا نرتجف، لم نكن نعلم إلى أين سيتطور الأمر وكيف يمكن أن ينتهي. كنا نُستنزف يومًا بعد آخر، ولكننا نواصل دون شكوى لأنه ليس أمامنا خيار آخر.

بالكاد كنا نحصل على فرصة للعودة إلى منازلنا من أجل الراحة. وعندما يحدث ذلك، كنا نكتشف أننا لا نواجه فقط الفيروس ومساوئه بداخل المستشفى، وإنما أيضًا خوف وجهل الكثير من الناس بالخارج. لم نكن ننتظر الشكر والثناء من أحد لكوننا في الصف الأول لمواجهة تلك الفاجعة، ولكن على الأقل لم نكن نستحق أن نتلقى كل ذلك الرفض والتنمر وسوء المعاملة كلما اختلطنا بالمجتمع بالخارج.. عند عودتي إلى المنزل، كانت تتملكني مخاوف أن أنقل العدوى إلى عائلتي، لم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أكن لأتحمل رؤيتهم يتألمون بسببي، لذلك كنت أتجنب السلام على أي أحد منهم عند العودة، وكنت أخلع ملابسي وأنا على باب المنزل وأضع المعقمات عليهم، ثم أقوم بتنظيفهم منفصلين عن باقي الملابس. كنت أفحص أفراد عائلتي وأرى إن كانوا يعانون من أي أعراض أو يحتاجون إلى أي عناية، وما إن أطمئن عليهم حتى أستريح لساعات قليلة لا تزيد عن ثلاث أو أربع ساعات في أفضل الأحوال، ثم أستيقظ لأعود إلى المستشفى لتبدأ تلك الدائرة المفرغة مجددًا. أرتدي الكمامة والقفازات واللباس الواقي، وأبدأ في المرور على غرف المرضى. أسحب العينات من أجل التحاليل والفحوصات اللازمة، أتأكد من حصولهم على الدواء في الأوقات المناسبة، وأتحدث معهم لطمأنتهم ورفع حالتهم المعنوية. وعلى ذلك المنوال لساعات طوال يوميًا، وكل يوم يزداد العبء ويصبح الأمر أكثر صعوبة. كل يوم أضطر لمشاهدة أناس يعانون من شدة الأعراض والألم المُضني، كل يوم أشاهد أعداد متزايدة من أناس يرحلون تاركين ورائهم عائلات وذكريات وأحلام.. كم هو مؤلم أن يكون الشخص أمامك في الصباح تحدثه وتستمع إلى قصته وتحاول التخفيف عنه، وفي المساء تجده قد رحل. كم هو مؤلم أن يحدث ذلك الأمر مرارًا وتكرارًا لدرجة أنك تنسى هؤلاء الأشخاص، ويصبحون في نهاية المطاف عبارة عن مجرد أرقام في تقرير يومي. كم هو مؤلم أن تبذل قصارى جهدك كي تتحسن الأوضاع ولكنك تجدها تسوء دائمًا، وأنت لا تملك حتى فرصة أن تحزن أو أن تيأس. كل ما تمتلكه هو أن تواصل وأن تأمل أن تتحسن الأوضاع يومًا ما. وأن تنسى؛ تنسى كل شيء تراه وتشعر به.

ربما ما كان يهوّن الأمر قليلًا هو الارتفاع النسبي لحالات الشفاء والخروج من العزل. ولكن في مقابل ذلك كانت أعداد المصابين في تزايد رهيب، والوفيات أيضًا. وبمرور الوقت لم نعد قادرين على التحمل، أخذنا في السقوط الواحد تلو الآخر. بدأت تظهر الأعراض على بعض أفراد الطاقم الطبي، وكان الجميع يحاول أن يتحامل على نفسه كي يستكمل عمله. ولكن عند مرحلة معينة يصبح مجرد الوقوف على القدمين مهمة في منتهى الصعوبة؛ وللسخرية المؤلمة أن حينذاك فقط كان يمكن أن يتم إجراء المسحة على أعضاء الطاقم الطبي للتأكد من الإصابة.. تم اكتشاف «16» حالة إيجابية بين أفراد طاقمنا، ومن بين تلك الحالات كانت هناك ثلاثة من زميلاتي الممرضات، وكانت إحداهن في حالة خَطِرة للغاية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تم عزلهن على الفور، وتم وضع الحالة الخطِرة على جهاز التنفس الاصطناعي مباشرةً. كان عليّ رفقة باقي الممرضات أن نسد ذلك العجز الذي نتج عن تلك الإصابات، زاد العبء لدرجة لا يمكن وصفها عندئذٍ. عملنا لمدة يومين بلا توقف، وفي اليوم الثالث تلقينا خبر وفاة زميلتنا التي كانت في حالة خطِرة. تألمنا كثيرًا لذلك الخبر بالرغم من أننا كنا ننتظره. أتذكر أني دخلتُ المرحاض وظللتُ أبكي لمدة نصف ساعة تقريبًا دون أن يشعر بي أحد. كنتُ مُنهارة، مُرتعبة، ومُرهقة للغاية. كنتُ قد تعبتُ من المشي والركض بين الغرف، تعبتُ من مشاهدة المرضى وهم يموتون، تعبتُ من مهاتفة ذويهم وإخبارهم بذلك، تعبتُ من مشاهدة زملائي وهم يعانون ويفقدون حيواتهم في سبيل الاعتناء بالمرضى. لا أحد بالخارج يمكنه أن يتخيل حجم الضغوطات التي نعمل بها، نحن نبذل قصارى جهدنا ولا أحد يُقصر في عمله إطلاقًا، ولكن الأمر مُرهق للغاية ولا أحد يشعر بنا. في النهاية نحن بشر مثل الجميع ولدينا مشاعر، ولكننا لا نستطيع أن نُظهر ذلك.. بالكاد استطعتُ الوقوف على قدميّ بعد ذلك، كنتُ أقاوم بينما أسير من غرفة لأخرى كي لا أسقط، وأجاهد حتى لا تنغلق عينيّ عنوةً. ولكنني مع نهاية اليوم لم أعد قادرة على التحمل، شعرتُ بألم شديد في كل أرجاء جسدي، وبدأتُ أشعر بصعوبة بالغة في التنفس. وجدتُ نفسي لا إراديًا أجلس على الأرض وأسند رأسي إلى إحدى الجدران. بدأ كل شيء يتلاشى أمامي، وفي غضون ثوانٍ قليلة كنتُ قد فقدتُ الوعي.

عندما أفقتُ كان قد تم عزلي، أجريتُ المسحة وتم التأكد من إصابتي بالفيروس. تم نقلي إلى مستشفى حجر أخرى، وبدأتُ بروتوكول العلاج. تواصل معي أهلي عبر الهاتف كي يطمئنوا على حالتي، وتأكدتُ بدوري من سلامتهم. لمدة يومين كانت الأعراض شديدة للغاية، وفي اليوم الثالث بدأتْ تتحسن تدريجيًا. في اليوم الرابع وجدتني في حالة جيدة للغاية؛ جسديًا ومعنويًا. لقد وجدتُ بعد الراحة والصفاء في فترة العزل بعد فترة طويلة من الضغط والإرهاق. فكرتُ بهدوء في كل ما حدث وما يحدث، وها أنا ذا الآن بعدما كتبتُ كل ذلك..

لا أعرف حقيقةً إن كنتُ قد كتبته لنفسي أم لأحدٍ ما، ولكن ذلك أشعرني براحة بالغة في جميع الأحوال.. في النهاية أتمنى أن يكون أهلي فخورين بيّ وبما أقوم به، أتمنى أن نتعلم في مجتمعنا أن نحترم ونقدّر بعضنا البعض بعيدًا عن أي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تصنيفات، أتمنى أن يرفع الله ذلك البلاء عن البشرية بأكملها، وأتمنى أن نمتلك جميعًا القوة اللازمة كي نتمكن من النهوض مجددًا والمضي قدمًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تمساح لا يكفُ عن البكاء

هو يعتقد أنه بكى للمرة الأولى في حياته عندما كان يتضور جوعًا وسط النهر، كان ضائعًا وكانت الأسماك عديدة من حوله ولم يعلم كيفية التهامهم، هو حتى لم يعلم أن بإمكانه التهامهم! لكن الحقيقة أنه بكى للمرة الأولى عندما خرج من بيضته إلى تلك الأرض الموحلة المليئة بالقمامة والقاذورات، والدته حملته آنذاك في فمها رفقة العشرات من إخوته بينما كان يبكي هو بشدة، وألقت بهم في إحدى البرك ثم تركتهم ورحلت.

هو لا يتذكر ذلك، كان صغيرًا للغاية ليتذكر أي شيء، وخيرًا كان ذلك له. التهمت الأسماك أغلب إخوته وبقي هو و«66» آخرون على قيد الحياة. تفرقوا دون أن يدروا بذلك وذهب كل منهم في مصير مختلف. أصبح وحيدًا يهيم في البرك والأنهار والأراضي المحيطة، أخذ يكبر شيئًا فشيئًا، كان يمكن أن يلقى حتفه في أي لحظة أثناء نموه في تلك الأجواء، ولكن ذلك لم يحدث، كانت تنتظره عدة أشياء قبل أن يصل إلى تلك اللحظة في جميع الأحوال.

Telegram:@mbooks90

لقد كان تمساحًا خلوقًا ومرهف الحس، كان يبكي عند رؤية أقرانه من التماسيح يترصدون فرائسهم كي يلتهمونهم بكل وحشية، وكان يبكي أيضًا عندما يتخذونه مُزحة بعدئذٍ، كانوا يلقبونه ب«عاهرة التماسيح»، يلتهمون وجبتهم في النهار ثم يقضون ليلتهم يتسلون عليه من خلال سبِّه والسخرية منه. كان هو يبكي من شدة الحرج والجوع، ويخرج من النهر كي يبتعد عنهم وكي يتغذى على بعض الأحجار. استمر الأمر على ذلك المنوال إلى أن أتته في أحد الأيام زبعرى مُعمرة، رأته يبكي بشدة بجانب شجرة قريبة من النهر، اقتربت منه وسألته قائلةً:

- لماذا تبكي يا ولدي هكذا؟!

فقال لها:

- لقد أتيتِ كي تسخرين مني بدورك، أليس كذلك؟! لقد تركتُ لكم النهر برمته، لماذا لا تتركوني وشأني؟!

فقالت له:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- لقد سمعتُ بأمرك في جميع أرجاء النهر، أنتِ تذرف العديد من الدموع هدرًا، والجميع يسخرون منك، أشعر بالأسى حيالك، وأريد أن أساعدك.

فردَ التمساح:

- بالتأكيد هذه حيلة، لقد اتفقتِ معهم كي تقومين بخداعي والسخرية مني، أو ربما أنتي ملولة ليس أكثر.

فردتْ الزبعرى:

- أقسم بالله أني متعاطفة معكَ بشدة، ولا أريد أي شيء سوى مساعدتك، فقط حدثني عن سبب بكائك المتواصل.

تنهَّد التمساح وترقرقت الدموع في عينيه ثم قال:

- حسنًا، أتمنى ألَّا تخذليني مثل الجميع.

قالت:

- لن أفعل.

قال:

- لا أعلم كيف أكون تمساحًا، لا أشعر أني واحدًا.. لا أستطيع أن أترصد وأتربص بالفرائس، لا أستطيع أن أهشم العظام وأسفك الدماء، لا أستطيع أن أزيف الدموع من أجل المكر والخداع. لا أستطيع، ولا أريد.. أشعر أني حبيس ذلك الجسد وتلك الحياة. وقد سئمتُ كل ذلك، سئمتُ سخرية الجميع، وسئمتُ معدتي العملاقة الفارغة وشعوري الدائم بالجوع والخوف والعجز، سئمتُ كل هذه المشاعر المكبوتة وتلك الأفكار التي لا أستطيع التعبير عنها. أنا مُتعب ويائس وحزين، ولا أعلم ما ينبغي فعله، لا أعلم إن كان هناك ما يمكن فعله.

توقف عندئذٍ التمساح عن الحديث ثم أجهش بالبكاء، نظرت إليه الزبعرى وظلتْ تتفرس فيه صامتةً لبعض الوقت ثم تحدثت وقالت:

- سأعطيك نصيحة واحدة لوجه الله.. ينبغي عليك أن تكفَّ عن البكاء، لن يفيدك في شيء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كفّ التمساح عن البكاء قليلًا ثم نظر إلى الزبعرى، فوجدها تبتسم له بدمائة لم يسبق له رؤيتها، حتى أنه شعر بدفء لم يختبره من قبل، وكم كان ذلك جميلًا بالنسبة له. ولكنه لم يكد يحول نظره بعيدًا عنها، حتى وجدَ رمح غليظ يخترق فكها، وسرعان ما قام البشر الصيادون بلف الحبال حولها وجزها بعيدًا. ارتعد التمساح كما لم يفعل من قبل على إثر ذلك المشهد، وهرول سريعًا باكيًا باتجاه النهر على صدى ضحكات واحتفالات الصيادين. ظلّ لعدة أيام لا يخرج من الماء من شدة الرعب، كان يصعد إلى السطح لثوانٍ قليلة من حينٍ لآخر فقط من أجل التنفس. ذلك المشهد لم يبارح ذهنه مطلقًا؛ الوحشية التي تم اصطياد الزبعرى بها، والنظرة الأخيرة التي وجهتها له وهي تغالب دموعها من أجل أن تطمئنه بينما كان يجزّها الصيادون بعيدًا. هذه المشاهد ضاعفت من وزن همومه التي كانت ثقيلة للغاية في الأساس، ومع الوقت أصبح بالكاد يستطيع أن يتحرك أو يفعل أي شيء آخر، عبء الحياة أصبح لا يُحتمل، والبكاء كان هو الشيء الوحيد الذي لا يتطلب جهدًا.

ظل الوضع على هذه الحال إلى أن جاء يوم وجد نفسه بالقرب من حافة النهر، رأى قطيع من الجاموس البري يشربون الماء، ومن دون أن يعي أو يفكر كثيرًا، وجد نفسه ينقض على عنق أحدهم بوحشية لم تنتج حتى من هؤلاء الذين سخروا منه. شدَّ الفريسة إلى داخل النهر وقام بلفة الموت ثم بتر العنق. سفك الدم، هشم العظم، وابتلع اللحم بلا توقف. أكل ما لم يأكله طوال حياته، لم يشعر بنفسه على الإطلاق طوال كل ذلك، لم يكن واعيًا بما يقوم به. كان متحررًا تمامًا؛ لا خوف ولا ندم ولا ذكريات ولا تعقيدات. فقط غضب غاشم، بركان خامد لسنواتٍ انفجر فجأةً وبلا أي مقدمات. بدا الأمر وكأنه ينتقم من جميع الأشخاص الذين أساؤوا إليه، ومن كل تلك اللحظات المؤلمة التي مرت عليه، والظروف القاسية المتواجدة على الدوام. والحقيقة أن الأمر كان رائعًا للغاية، حتى وإن دام فقط لدقائق معدودة، ربما ذلك هو أروع شيء على الإطلاق؛ أن تقوم بأمر يجعلك تنسى ماضيك ولا تهتم بمستقبلك، أمر يزيح عنك هويتك ويريحك من عبء نفسك.

بعدما انتهى، خرج من النهر واختلى بنفسه في أحد المواضع الهادئة. جلس لدقائق صامتًا دون أن يفكر في أي شيء، ثم انفجر ببكاء مرير. لم يكن يبكي لسببٍ محدد، لم يشعر بالذنب أو الندم أو أي شيء، ولكنه كان يبكي بأشد ما يمكنه، وكان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يجبر نفسه على البكاء حتى عندما يتعب، لم يرد أن يكفّ عن البكاء على الإطلاق. ظل هكذا لساعاتٍ طوال، إلى أن وجد مجموعة من التماسيح تُحيط به. أخذوا يسخرون منه ويتضاحكون فيما بينهم، منهم من يقول: «مرحبًا بعاهرة التماسيح»، وآخر يقول: «لماذا تجلسين وحدكِ هكذا أيتها العاهرة؟!»، فيجيب عليه آخر ويقول: «العاهرة لا تستطيع أن ترد لأنها مشغولة بالبكاء». على هذا المنوال ظلوا يتقاذفونه فيما بينهم، ويتناوبون على إهانته والسخرية منه، وهو طوال ذلك صامت لا يحرك ساكنًا، وتتساقط الدموع من عينيه. ولكنهم استمروا في استفزازه والسخرية منه إلى أن طفح كيله، فقام بسبّهم جميعًا، الواحد تلو الآخر. بعد ذلك اشتبك معهم في معارك دامية، وقرر أنه سيفعل شيئًا من اثنين؛ إما أن يصمتهم للأبد أو يتركهم يقتلونه.. وبالرغم من كثرتهم إلا أنه كان غير قابل للإيقاف. لم يتمكنوا من السيطرة عليه، بل إنه هاجمهم جميعًا وأصاب عدة منهم بإصابات بالغة، كان يقاتل كالمجنون. لم يشعر بأي ألم من جرّاء أي إصابة تلقاها منهم، ولم يخشَ ولو لوهلة من احتمالية أن يُقتل. لم يكن لديه شيء يخسره، ولا شيء يكسبه. كان عشوائيًا، فوضويًا، وشرسًا لأبعد الحدود، ربما أشرس تمساح وُجد على الإطلاق.

عندما انتهى الأمر، كان جلده مخضبًا بالدماء. سار باتجاه النهر كي يغتسل دون أن يتمكن أحد من لمسه، وخلّف وراءه العديد من الأجساد المطروحة أرضًا؛ منها من كان يعاني من إصابات بالغة، ومن أوشك حتى على الموت. ومن هنا بدأت أسطورته.. ذلك التمساح الهزيل، العاجز، الرعديد الذي تحول إلى أعتى الوحوش الموجودة في الأنحاء، بإمكانك أن تفعل ما شئت ولكنك لا تعبث معه. لم يعد مزحة بعد ذلك على الإطلاق، بل وعلى النقيض تمامًا، فقد أصبح كابوسًا.. لم يعد يفرق بين الحيوانات البرية وأقرانه من التماسيح، جميعًا باتوا مجرد غذاء بالنسبة له. اعتاد منذ ذلك اليوم على التهام العديد من الفرائس باختلاف الأنواع والطرق، وبينما كانت أغلب التماسيح تعاني لأسابيع من أجل إيجاد الغذاء، كان هو تقريبًا يجده يوميًا، حتى أن حجمه ازداد إلى حدٍ كبير، وأصبح مظهره مرعبًا لكل من يراه، واتسعت سطوته حتى شملت جميع أرجاء المياه والبراري. لكنه لم يتوقف عند ذلك الحد، بل إنه بدأ في اصطياد البشر أيضًا. لم ينس على الإطلاق ما حدث مع الزبعرى في الماضي. تعلّم طرق الصيادين وأصبح يعرف كيفية خداعهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والتسلل منهم، والأهم من كل ذلك؛ التهامهم.. البشر كان لهم مذاق خاص بالنسبة له، وبخاصة الصغار منهم، اصطيادهم كان الأسهل. كان يستغل براءتهم ويخدعهم بالبكاء والدموع كي يشفِقون عليه، وما إن يقتربوا منه حتى يبتلعهم ابتلاعًا.

لم ينظر خلفه مطلقًا، تناسى تمامًا ما كان عليه وتأقلم بالكامل عمّا أصبح عليه. لكن من وقتٍ لآخر كان يتوقف ليتفكر في ذلك الطريق الذي سلكه كي يصل إلى ما وصل إليه، كيف صار ذلك الوحش الذي لا يرحم بعدما كان رعديدًا، كيف ألِفَ سفك الدماء والمكر والخداع بعدما كان رقيقًا مرهف الحس. لقد تغير كل شيء به تقريبًا، ما عدا شيء واحد فقط؛ وهو البكاء.. نعم، لم يستطع أن يكفَّ يومًا عن البكاء، حتى وإن أخفى ذلك أمام الجميع وخلف قناع ذلك الوحش الضاري الذي صار عليه؛ إلا أنه كان يختلي بنفسه يوميًا كل ليلة في مكان ناءٍ ومظلم كي ينفجر بالبكاء المرير. وبخلاف كائنين أو ثلاثة قام بالتهامهم في لحظتها قبل أن يستكمل بكاءه، لم يستطع أحد أن يراه في تلك الحالة، ولم يتخيل أحد أنه مازال يبكي بتلك الطريقة، ومن قد يتخيل أن وحشًا مثله قد يبكي بتلك الطريقة، وما الذي يمكن أن يدفعه لفعل ذلك.. ربما ذلك سؤال لا إجابة له، ليس هو حتى بإمكانه الإجابة عليه، ربما كل ذاك الذي عاشه راكم أسبابًا من كثرتها ضاعت الإجابة بداخلها، ربما يبكي بحثًا عن شيء مفقود، ربما يبكي على شيء لا وجود له، ربما يبكي على كل شيء، ربما يبكي على لا شيء.

دارت الأيام وزحف هو عليها يفرض سطوته على الجميع من جهة، ويخفي بكاءه عنهم من جهة أخرى. استمرت أسطورته في النمو، وصار اصطياده هو الهدف الأول لمجموعة من القرويين والصيادين الذين تكاتفوا معًا كي يُخلصوا الجميع من شره. كانوا يؤمنون أنه الشيطان جد الإيمان.. حجمه، مظهره، وخداعه للأطفال بالبكاء، والتهامه لهم رفقة الكبار، والفزع الذي كان يثيره في نفوسهم.. كلها أسباب جعلتهم يتأكدون من كونه الشيطان الذي ظلوا يسمعون عنه طوال حياتهم. حاولوا مرات عديدة وبذلوا كل ما في وسعهم من جهد وحيل وخداع من أجل الإمساك به، ولكنه كان يتمكن بطريقةٍ ما من الإفلات منهم. استمروا بالمحاولة ولكنهم استمروا بالفشل أيضًا، أصبحوا يائسين وقنعوا أنه ما من سبيل لاصطياد الشيطان، وأيقنوا أن السبيل الوحيد هو التعايش مع وجوده سواء بمحاولة تجنبه أو باتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة شروره. قاموا بذلك واستمروا عليه إلى أن جاء يوم حدث به ما لم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يكن ليتوقعه أحد على الإطلاق.

فقد صعد التمساح من النهر، وزحف حتى وصل إلى قلب إحدى القرى في وضح النهار، ثم وقف ساكنًا وظل يبكي بمرارة شديدة أمام الجميع. في البداية ساد الفزع أرجاء القرية وهرع جميع الأهالي إلى منازلهم خوفًا، ورفضوا الخروج منها حتى مع استمراره في البكاء وعدم مهاجمته لأحد، ظنوا أنها مجرد خدعة من الشيطان. ولكن مع استمرار الأمر على ذلك المنوال، بدأ يتشجع بعض الصيادين، وأحسوا أنها الفرصة المواتية لإتمام المهمة، حتى وإن لم يفهموا السبب الذي دفع التمساح للقيام بذلك.

تجمع ما يزيد عن «266» شخص من الصيادين ورجال هذه القرية وقرى أخرى مجاورة، أحضروا معهم كل ما أمكنوا إحضاره من حبال ورماح وحِراب، كما أحضروا قفصًا حديديًا عملاقًا كي يودعوا التمساح به حال تمكنوا من السيطرة عليه. أحاطوا به من جميع الجهات، وبحذرٍ مبالغ به أخذوا يقتربون منه الخطوة تلو الأخرى، ومع كل خطوة كانوا يتوقعون أنه سيهاجمهم ويُنهي كل شيء، لكن ذلك لم يحدث مُطلقًا. وعندما حان الوقت وأصبحوا على مسافة ملائمة منه، أخذوا ينهالون عليه بالرماح والحِراب ولفوا العديد من الحبال حول فكّه، رقبته، وذيله. أخذوا يشدونه بكل ما أوتوا من قوة باتجاه القفص حتى نجحوا في إيداعه. لم يُظهِر التمساح مقاومة من أي نوع طوال الأمر وبدا مستسلمًا تمامًا، تركهم يفعلون به ما يحلو لهم، وظل يبكي فقط أثناء ذلك.

تعجبوا جميعًا منه ولم يجدوا أي تفسير لما قام به، ولكن ذلك لم يمنعهم من الاحتفال مطولًا باصطياده والتخلص من شروره. امتلأت الشوارع بالناس واستمرت الاحتفالات لأيام عديدة؛ تراقصن النساء وأخذ الأطفال يتحلقون بجانب قفص التمساح العملاق الأسير الباكي. ظلَّ الرجال يطعنونه بالرماح والحِراب في جميع أرجاء جسده انتقامًا منه ولما فعله. تألم هو كثيرًا وأخذ يبكي وينزف الكثير من الدماء، ولكنه لم يمت.

استمر الحال هكذا لعدة أيام، ومع كل يوم كان يتعجب الأهالي من كونه مازال على قيد الحياة. فقد كانوا يعذبونه يوميًا.. النساء والأطفال يلقونه بالحجارة وكل ما تجده أيديهم في الصباح، والرجال يحرقون جسده بالنار في المساء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويواصلون طعنه بالحِراب، وأمام كل ذلك كان هو بلا مقاومة أو حراك؛ فقط كان يبكي من فرط الألم ومن المهانة التي صار عليها، كان يبكي الحال التي وصل إليها، ويبكي كونه ما زال على قيد الحياة.. لأشهر ظلَّ يتحمل الألم بعدما اعتاد السطوة، والجوع بعدما اعتاد الشبع. والغريب في الأمر كانت قدرته على تحمل كل ذلك؛ لم يفهم أحد كيف تمكن من البقاء على قيد الحياة بعد كل هذا العذاب، وكيف لم تجف دموعه بعد كل ذلك البكاء.

مع الوقت بدأت تلك الأحوال تُلقي بظلالها عليه، فأخذ ينحل تدريجيًا وبدأ الوهن يتملكه. شعر أنه أصبح قريبًا من النهاية، وأخذ يتذكر ومضات من حياته.. نشأته وجهله بقوانين ذلك العالم الذي وجد نفسه به، وشعوره الدائم بالخوف والضياع وبالغربة في جسده، كونه مُزحة التماسيح وعاهرتهم، الزبعرى اللطيفة وما حدث معها، ذلك الجاموس البري الذي التهمه للمرة الأولى في حياته، ثورته على حالته المثيرة للشفقة ووقوفه في وجه الجميع، تحوله إلى ذلك الوحش الضاري ونمو أسطورته، التهامه للبشر والشيطان الذي أصبح عليه، مرور الأيام واستسلامه إليها في الأخير، وكل ذلك العذاب الذي تلقاه بعد استسلامه. تذكر البكاء والألم والمعاناة.

تساءل عن نفسه وعن هويته؛ هل هو ذلك الضعيف المثير للشفقة، أم أنه ذلك الوحش الضاري الذي لا يرحم! هل هو الجاني أم المجني عليه! هل هو ذلك الشيطان ذو السطوة المطلقة على المياه والبراري، أم أنه مجرد كائن لا حول له ولا قوة أمام سطوة الحياة نفسها! من هو؟! ماذا هو؟! ماذا كان، وماذا أصبح؟! أين سيذهب بعد كل ذلك، وما المغزى من كونه تمساح عملاق لا يكفُّ عن البكاء؟! على ذلك القبيل ظلت نفسه تدور به إلى أن وصل إلى تلك اللحظة المنتظرة.. في تلك اللحظة بالذات، تذكر الزبعرى ونصيحتها، فتوقف تمامًا عن البكاء وترحم عليها، لفظ آخر أنفاسه، ثم انتهى كل شيء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أشباح بلا هوية

خيط رفيع من نور بزغ من وسط كل تلك العتمة، فهرع نحو مصدره وكأنه كلب جائع لمعث في عينيه فخذة طازجة لم تُنهش ولم تُمس من قبل. وما إن وصلَ إلى ذلك «الديلر» الذي ينبثق من يده مصدر النور، حتى اغترف من جيبيه جميع ما يحمل من أموال. فأخرجهم ومدهم إليه وهو يتضرع قائلًا:

- بسرعة أبوس إيدك، أنا بموت..

عندئذٍ أطفأ الديلر كشاف هاتفه وأعطاه جرعته المطلوبة بعدما أخذ منه المال، ثم نظر إليه على مضض وقال:

- والله الواحد زهق من مناظركوا الوسخة دي.. بس هنعمل إيه! أكل العيش مر.

- الله يكرمك!

قالها له بغبطة وبلاهة قبل أن يتوغل على عجل بين ثنايا تلك المقابر بحثًا عن مكان يتوارى فيه عن تواري الأنظار نفسه. وفي لمح البصر، كان قد أدرك موضعًا يستطيع أن ينعم فيه على انفراد بجحيمه الذي سيحرره ولو مؤقتًا من تلك الأشواك التي ظل يسير عليها لساعات، أو هي التي سارت عليه.. أيًا كان.

نظرًا لحالته الجسدية المزرية وحالته الذهنية الأكثر زرايةً، فإنه عادةً ما يبذل جهدًا وفيرًا لإيجاد وريد مناسب ليحقن بداخله تذكرته للوصول إلى الشمق. وفي كل مرة يصل بها إلى تلك المرحلة بالذات، يعتريه للحظة تردد واعٍ يحاول إثناءه عمًا هو بصدد فعله. لكن تلك اللحظة سرعان ما تتبخر في الهواء رفقة مثيلاتها من اللحظات على هيئة عمره.. فما إن يسري ذلك الخدر بعروقه ليمتد إلى سائر أوصاله، حتى تستوي عنده الأفراح والنكبات. بل إن حياته برمتها تتراءى له كمجموعة أفكار مُجردة من أية مشاعر. هو ليس بسعيد أو بحزين، هو مُزتَاح. جسده أصبح خفيفًا إلى حد يجعل الجاذبية لا تلتفت إليه، عقله صار يطفو على أحد أنهار اللامبالاة الخالصة، وروحه تركته في نزهة ولا يعلم إن كانت ستعود مرةً أخرى أم لا.

بينما كان في غمرة انتشائه على تلك الحال، قررَ أن ينهض بما فيه من خدر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ليتسكع مترنحًا إلى حيثما لا يدري. وفي أثناء ذلك، لاح له من بعيد شبح شخص قادم، أو شخص شبح.. من الصعب التفريق الآن! فحالته لا تسمح بذلك على الإطلاق، ولا حتى الزمان أو المكان.. على أية حال، لم يكن يهتم على الإطلاق بماهية ذاك القادم باتجاهه، ولم يعتره وجل من جراء أي شيء، فهو كان يشعر بنفسه في تلك الحالة وكأنه كالريح التي تهدر في الأرجاء، تمر دون أن تعبأ بأي شيء حولها. عندما أصبح ذلك الشخص -أو الشبح- على بُعد أمتار قليلة منه، أحسّ هو أنه سيشاطره حالته وسيمر من خلاله وكأنهما -ويا للسخرية- لا شيء. ولكنه خالف توقعاته وتوجّه نحوه مباشرةً، فحيّاه بلطافة من شأنها أن تبثّ السكينة بداخله غير الموجودة، ثم سأله بأبعد ما يكون عن الاستجواب قائلًا:

- أنت ايه اللي جابك هنا؟!

فردّ هو عليه بعدما عاد إليه شيئًا من عقله نتيجةً لذلك التواصل، وقال برزانة يُحسد على بعضها:

- نفس اللي جابك أكيد!

فابتسمَ وقال:

- أنا مجيتش أصلًا..

فابتسمَ هو أيضًا بلامبالاة، وسرعان ما تحولت تلك الابتسامات إلى ضحكٍ شِرهٍ تقاسماه معًا بلا سبب، أو لجميع الأسباب ربما إذا عدنا إلى كُنه تلك اللحظة وكُنه كل منهما في الأساس. بعد ذلك تعرفا على بعضهما البعض. فقال هو بأن اسمه «أحمد»، وهو شاب تجرّه الحياة بعنف نحو منتصف الثلاثينات. فرد عليه وقال أنه مجرد شبح لا يتذكر لنفسه اسمًا ولا يُقدر لحياته عُمرًا. فابتسمَ هو مجددًا دون أن يصدّقه أو يكذّبه، بل ترك اللحظة تموج عليهما بجميع ما تملكه من أوهام. ولكنه لم يتمالك سوى أن يسأله عن نوعية ذلك الصنف الفاخر الذي يستخدمه، فأجابه الشبح بأنه لا يعرف له اسمًا، ولكنه بالفعل فاخر لدرجة تجعله غارقًا طوال الوقت في بحر من اللاوجود.

ظلا لمدة «123» دقيقة تقريبًا يتبادلان أنماط متنوعة من اللغو المؤرق حتى لظلام الليل وهدوء المقابر، ولم يتوقف ذلك اللغو إلا عندما عرض ذلك الشبح عليه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بأن يأخذه إلى «اللامكان»، وهو الاسم الذي يُطلق على المكان الذي يتقابل فيه مع أقرانه وندمائه ممن يتشاركون معه ذلك الصنف الفاخر للغاية. تحفس هو كثيرًا لذلك العرض، ورنا بشدة نحو التعرف على تلك الجماعة، ربما ينضم إليهم مستقبلًا. فوافقه ثم سارا معًا بتأودة وهما يتلمسان طريقهما معدوم الملامح، ومرا أثناء ذلك بين العديد من الأضرحة المتناثرة على أديم الأرض الغارقة في ظلام الليل وسبات الموتى.

لم يكد يمر وقت طويل حتى وصلا إلى خلاءٍ ليس ببعيد عن تلك المقابر، فأخذ الشبح عندئذٍ ينبش الأرض بقدمه وكأنما يتحسس شيئًا بها، ولم يبحث كثيرًا حتى وجدَ حلقًا نحاسيًا مُثبتًا إلى الأرض، فشدَّه إليه، فإذا بباب خشبي ينفتح عن سلم يمتد عميقًا إلى قلب الأرض. هبطا معًا درجات ذلك السُلم، وفي أثناء ذلك، كان قد بدأ هو يستعيد شيئًا من مشاعره؛ فانتابه مزيج متوازن من جموح الإقبال على التجارب غير المُجرَبة، وتوجس السير نحو متطرفات الأمور. ولكنهما لم يكنا ليقارنا بمستوى لامبالته أيضًا في جميع الأحوال. عندما وصلا معًا إلى نهاية ذلك السُلم، تفاجأ هو بمكان مُكتظ عن آخره بأناس من مختلف الأشكال والألوان. أخذ يتجول في ذلك المكان –المُسمى باللامكان- كي يتفقده، وقد كان عبارة عن عدة حجرات ضئيلة الحجم، متصلة ببعضها البعض، ومُضاءة بأنوار باهتة لشموع شارفت على الانطفاء. وكانت الأجواء به حارة تكسوها رطوبة خانقة لمدى ضيق المكان بالنظر إلى كمية الخلق التي تشغله.

مع مرور الوقت، شعرَ أنه بالكاد يستطيع أن يتنفس. وتلفتَ حوله بحثًا عن ذلك الشبح، فوجده في جميع تلك الأوجه المتواجدة من حوله، التي وعلى اختلافها يجمع بينها شيئان: التَيْه والبلادة. فلا أحد منهم يعلم شيئًا عن نفسه أو عن غيره.. لا اسم، لا عُمر، ولا هوية. ذلك ليس صنفًا فاخرًا على ما يبدو، إنه شيءٌ آخر لا محالة، شيءٌ لا جدال ولا سخرية فيه.

بدأ يتراءى الآن الأمر جليًا له، فها قد عاد تأثير الجاذبية على جسده الذي أخذ العرق يتساقط منه مُتصببًا، وحتى عقله قد عاد إليه وإن كان مبتلًا بعض الشيء بما أدخله إليه منذ ساعات عبر وريده المُتهالك، ولكن روحه! أين هي؟ هل عادت ولم تجده؟ أم أنها لم تعد على الإطلاق؟! لا، لا يمكن أن تكون هذه هي النهاية،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالتأكيد لازالت هناك فرصة. راح يفتش في كل موضع عن أي سبيل للخروج، وأخذ يدفع تلك الأجساد غير الموجودة والتي لا يكتظ بها المكان بكل ما أوتي من يأس، لكن الشموع التي كانت لا تنير المكان قد انطفأت، فأصبح كل شيء من حوله مُعتمًا، تمامًا كما كان دائمًا، ثم ساد من حوله صمتٌ وخلاءٌ لطالما كانا موجودين أيضًا. فأحسّ أن هذه هي النهاية.

ارتمى إلى الأرض ودفن رأسه بين قدميه اللتين تأبطهما بذراعيه، وراح يصرخ ويبكي كما لم يفعل من قبل، بعدما شعر بضياع كل شيء. في تلك اللحظة، شعرَ أنه مجرد طفل محبوس بداخل شخص بالغ لم يختره ولم يعرفه، وشعرَ أن ذلك الشخص البالغ هو الآخر محبوس في عالم لم يختره ولم يعرفه. كل شيء بداخله كان غريبًا، مُعتمًا، ومُخيفًا. كل شيء بداخله كان يصرخ بحثًا عن نجدة ربما لا وجود لها في ذلك العالم على الإطلاق..

واصلَ الصراخ لوقتٍ لم يستطع تقديره، ولم يتوقف إلا عند سماع صوت باب ينفتح، فرفعَ رأسه، فرأى رجلًا طويل القامة متلفحًا بجلباب فضفاض. كان ذلك الرجل واقفًا قبالة الباب الذي يقود إليه سلم من بضعة درجات. انتفضَ على قدميه وركض مُسرعًا نحو ذلك الرجل الذي تسلل من خلفه ضوء الفجر على استحياء. ولمَّا وصل إليه، لثمه على خده وكأنه الحياة نفسها، فدفعه الرجل عنه بنفور وزمجر فيه قائلًا:

- غور في داهية ملعون أبوك على أبو المخدرات، ربنا يتوب علينا وعالأموات من أمثالكوا..

ابتعد عنه شاكرًا له، وللهواء الذي يتنفسه، ولقطرات الندى التي راحت تداعب وجهه المُمتقَع. وتحت سيل الشتائم واللعنات التي راح يصبّها ذلك «الثربي» عليه، لمحَ من بعيد روحه تنتظره مُلوحِةً، فهرعَ إليها مسرعًا. وعندما أدركها، احتضنها بشدة بعدما عرفَ بعضًا مما تعنيه له، فأخذها وركض بعيدًا عن ذلك المكان، ومن خلفه لاحت يافطة مكتوب عليها: «مدافن الصدقة».. تلك المدافن التي وعلى اختلاف الأسباب، تسلب قاطنيها لا الحاضر والمستقبل فقط، بل الماضي أيضًا، فيبدوا كل من يدخل إليها وكأنه لم يُولِد ولم يتواجد من الأساس. لكن ولحسن الحظ ولسوءه في آنٍ واحد، هو أن تلك المدافن أصبحت مُكتظة عن آخرها هذه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأيام إلى درجة تجعلها لا تحتمل أي أعداد أخرى؛ فهي تحوي ما يكفيها من أشباح لأناس ماتوا بلا هوية. لكن يبقى الخوف الآن والهوان كل الهوان، هو أن تلك الأماكن أصبحت ملاذًا لأناس أحياء، راضين كل الرضا بأن يصيروا طوعًا أشباحًا بلا هوية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حذاء

خرجتُ عن شعوري وفقدتُ صبري، أخذتُ أسبُ وألعن كل شيء؛ الناس والظروف والحياة. صرتُ عابسًا واعتاد وجهي على التجهم الدائم، أصبحتُ ساخطًا طوال الوقت بدون أسباب واضحة. وفي إحدى الأيام، وبينما كنتُ أسير في الطريق، قررتُ أن أخلع حذائي وأن أسير حافي القدمين. وفي الطريق نحو المنزل، تلقيتُ سيلًا من النظرات المتباينة للناس من حولي، ولكنني قلتُ لنفسي: «تبًا للجميع».. وصلتُ المنزل، واتصلتُ بصديقي المقرب. أجابني بتخاذل ولامبالاة، لكن ذلك لم يمنعني من أن أشكو إليه كل ما يدور بداخلي. صمتَ قليلًا ثم أخبرني أن الحرب العالمية الثالثة صارتْ على الأبواب وأن المصير السوداوي قد يكون هو الحل بالنسبة لي. سببته، فسبَّني، ثم أغلقنا الهاتف في وجه بعضنا البعض سويًا.

لم تكد تمر دقائق بعد ذلك، حتى سمعتُ صدى قصف عنيف في الأرجاء من حولي. قبل أن أتمكن من الوصول نحو النافذة كي أستكشف ما يحدث، كانت قد انهارت البناية التي أسكن بها بالكامل. قضيتُ ساعات طويلة تحت الأنقاض، تمنيتُ الموت بشدة، ولكن تم إنقاذي عندما كنتُ قريبًا منه. خرجتُ إلى الهواء وشعرتُ كم هو باهظ، احتجتُ بعض الوقت كي يعود إداركي لدرجة يُمكن الاعتماد عليها. بدأتُ السير في الأنحاء، الرؤية كانت مهمة شاقة للغاية من كثرة الضباب الذي ملأ الأجواء، ولكنني تمكنتُ من مشاهدة العديد من الحجارة والدماء في جميع الأرجاء، لقد تهدَّمت العديد من المنازل والمباني على ما يبدو.. ظللتُ أسير طويلًا من دون أن تتغير المشاهد؛ دماء وحطام وأناس تصرخ وتهرع في الأنحاء، أجساد محشورة في وسط ذلك الحطام، أطفال يرتجفون بحثًا عن ذويهم بينما الدموع تنهمر بغزارة من عيونهم البريئة. بدأتُ أختنق من كثرة الغبار الذي تنفسته، وشعرتُ أن تلك الفوضى ستلتهمني، أخذتُ أركض هربًا من كل ذلك، ركضتُ لمدة طويلة للغاية دون أن تتغير الحال، شعرتُ أني بداخل كابوس لم يرد أن ينتهي، ولكنه انتهى كالعادة عندما فقدتُ الأمل.

حلَّ الليل وهطلت الأمطار ووجدتني وصلتُ إلى مكان ناءٍ بعد كل هذا الركض، لم يكن هناك أناس أو حطام على الإطلاق من حولي. كنتُ في أحد الصحاري على ما أظن، الهواء كان يضربني بشدة، والنجوم كانت جميلة من حولي، بالنظر إليها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في تلك اللحظة شعرت أنها تحوي عوالم أخرى جميلة هيهات أن أصل إليها. صوت الصمت كان مخيفًا للغاية، دفعني على غير عادتي للبحث في الأرجاء عن أي أحد، ولكنني لم أجد شيئًا. سرتُ متهاديًا، مضطربًا، وخائفًا من أن يكون الأمر قد حدث بالفعل، رغم أني أردته دائمًا.

بعد مدة من السير، وجدتُ منزلًا خشبيًا مضاء بالشموع وسط العتمة، لا يحيط به شيء سوى الخواء. اتجهتُ إليه مباشرةً مسرعًا، طرقتُ الباب عدة مرات قبل أن يفتح لي أحدهم في الأخير. دلفتُ للداخل فوجدتُ امرأة جميلة للغاية ترحب بي، أجمل امرأة رأيتها في حياتي، أجمل امرأة وُجدت على الإطلاق.

لن أحاول وصف مدى جمالها لأنني لن أتمكن، لكن النظر في عينيها أسرَني وحررني في آنٍ واحد، شعرتُ وكأن قلبي قد شُق وتم إخراج كل ما يحويه من يأس وحزن وألم وصدمات وما إلى آخره من ذلك القبيل. كما أنني لم أعد أفكر في أي من تلك الأشياء التي اعتدتُ التفكير بها، شعرتُ وكأنني أصبحتُ شخصًا آخر غير نفسي، أو ربما بالأحرى، وكأنني فقدتُ نفسي. ظللتُ هائمًا بها، أنظر إليها دون أن أتحدث أو أفكر في شيء. عالمي بالكامل أصبح نظرات عينيها، حركات جسدها، شعرها، بشرتها، شفتيها، ابتسامتها، صوتها.. كنت أغرق عميقًا للغاية، ولم ينتشلني سوى أنها سألتني بغتةً:

- ألَا تريد أن تعرف ما الذي يحدث بالخارج؟!

فهززتُ رأسي بالنفي دون أن أفكر في شيء سوى في صوتها الذي ظل يتردد صداه في رأسي، فابتسمتْ وقالت:

- إذن، ما الذي تريده الآن؟!

نظرتُ مباشرةً في عينيها، فقالت:

- وأنا مستعدة أنا أهديك نفسي بالكامل، ولكن لديَ شرط وحيد..

بسطتُ يداي إليها، فنظرتْ نحو قدمي وقالت:

- جِد حذائك ثم تعال وستجدني أنتظرك كما تنتظر الجارية سيدها.

بعد ذلك، فتحتْ الباب لي، فظللتُ متعلقًا بعينيها. مدتْ يدها ولمست جبهتي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بطرف سبابتها، ثم حولت نظرها عني وأدارت ظهرها لي وأغلقت باب المنزل.

عدتُ إلى العالم بالخارج. كان بارِدًا، مُخيفًا، وقاسيًا. لم أرد أن أفكر في الأمر كثيرًا، لذا سرتُ بعيدًا عن ذلك المنزل وما يحيط به من خواء في طريقي إلى مدينتي التي تهدمت. الحزن كان يخيم على الأجواء لدرجة يُمكن أن تُفقد العاقل توازنه، وتعيد للمجنون ثباته.. الكثير من الأجساد ملقاة على الأراضي، الخراب يحيط بكل شيء، القلة المتبقية من الناس إما يبكون ما فقدوا وإما يضحكونه.

علمتُ أننا بالفعل صرنا في ذلك المصير السوداوي بعدما اندلعت الحرب العالمية الثالثة، تم إطلاق العديد من الصواريخ النووية على مناطق مختلفة من العالم. سقطت أغلب الشبكات العالمية، تحطمت محطات الكهرباء وغيرها من مصادر الطاقة، وفي غضون «357» ساعة كان قد عاد العالم إلى عصوره الأولى. لا أحد يعلم كيف بدأ الأمر ومن بدأه، لم يعد يهم الآن في جميع الأحوال. لم تعد هناك وسائل لمعرفة شيء، إن كنت مازلت على قيد الحياة، فأنت لا تملك سوى أن تهيم في الأرجاء بحثًا عن من تعرفهم، وبداخلك قد تتمنى ألَّا تجدهم كي لا يتعذبون معك في ذلك الجحيم الذي صارت الحياة عليه.

لأيام ظللت أبحث عن حذائي وسط كل هذا الضياع، بالطبع لم أجده. عميقًا بداخلي كنتُ أعلم أنني لم أكن لأجده في الأحوال الطبيعية، فكيف أجده في هذه الأحوال، علمتُ أيضًا أن فقدان الأمل لن يفيد في هذه الحالة، ببساطة لأنه على الأغلب لم يعد للحذاء وجود، على الأغلب أنه تدمر رفقة كل شيء. كنتُ متعبًا للغاية؛ عطشًا، جائعًا، نعسًا، ومتألمًا. لم أعد قادرًا على المشي حافيًا أكثر من ذلك، قدماي تشققتا وسالت منهما الدماء، لم أكن لأتحمل أكثر من ذلك. قررتُ أنني سأعود إلى ذلك المنزل وأنني سأترجى تلك المرأة كي تقبلني إليها وتدعني أدخل. وإن فشلتُ في ذلك، فسأقاوم سحرها وأقتلها.

عدتُ إلى المنزل وطرقتُ الباب وبداخلي نشوة لذيذة، انفتح الباب وظهرت من خلفه امرأة مُسنة للغاية. نظرتْ إليَّ بعينين حزينتين، وبدوري نظرتُ أنا الآخر إلى عينيها، وانقبض قلبي عندما دققتُ شديدًا في ملامحها. لم أتمكن من قول شيء، ولم تتحدث هي أيضًا. دعتني للدخول ثم أغلقت الباب من خلفي، كانت تتحرك بصعوبة بالغة ولم أفهم شيئًا على الإطلاق. نظرتْ إلى قدمي لثوانٍ ثم أمسكت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بيدي وقادتني بدون حديث إلى غرفة نومها، أوقفتني أمام المرآة بجانبها وظلت تنظر إلى صورتنا معًا. كانت على وشك البكاء ولكنها غالبت دموعها، ثم تحدثت إليّ بصوتٍ مرتعش وقالت:

- لِمَ تأخرتَ كل ذلك؟!! لقد انتظرتك طوال هذه السنوات وأنت لم تعد قط.

لم أتمكن من فهم شيء، نظرتُ نحوها بينما سالت الدموع من عينيّ بلا بكاء، ولم أستطع التحدث. قالت لي متسائلةً:

- ألم تجد الحذاء؟!

هززتُ رأسي بالنفي. انفجرتْ هي بالبكاء واحتضنتني بشدة، فانتابني شعور كنتُ قد نسيته؛ كانت دافئة للغاية.. أملتُ رأسي إلى كتفها الأيسر، فلفَّت ذراعها حول رقبتي وأخذت تمسد بيديها شعر رأسي. أغمضُ عيني وهمستُ في أذنها قائلًا:

- أنا مُتعب للغاية..

ربتت على ظهري برقة، ثم أخذتني من يدي إلى المرحاض. أزالت عني ملابسي المتسخة، ثم وضعتني في حوض الاستحمام وأخذت تنظف جسدي وجروح قدمي. ألبستني ملابس نظيفة، أطعمتني، سقتني المياه، ثم وضعتني في الفراش. قصَّت عليَّ حكاية قديمة جميلة، وبإحدى يديها أخذت تمسد شعري وبالأخرى ظلت تربت على كتفي إلى أن سقطتُ في نوم عميق. وفي أثناء نومي، حلمتُ أني أسير في الطريق مرتديًا حذاءً جميلًا للغاية، ولكن بداخلي كان هناك شعور أن ثمة أمرًا خاطئًا، فذهبتُ إلى منزلي ونظرتُ لنفسي في المرآة واكتشفتُ أن الحذاء هو الذي يرتديني!

أفقتُ مفزوعًا من النوم، وظللتُ أبحث عن تلك المرأة في جميع أرجاء المنزل، فلم أجدها، ولكنني وجدتُ رسالة كتبتها لي تقول فيها: «أشعر بالأسى حيالك كونك عشتَ مجنونًا في عالم عاقل، وعاقلًا في عالم مجنون.. أنا آسفة لإخبارك بذلك؛ ولكن الحذاء لم يتواجد يومًا على الإطلاق. الأمر برمته كان مجرد كذبة قاسية».. تمنيتُ حقًا لو تمكنتُ من فهم تلك الرسالة، ولكنني لم أفهمها مُطلقًا، بكل صدق لم أفهمها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شجرة

لقد توفيتُ الأسبوع الماضي على ما أتذكر.. عدتُ من العمل كأي يوم طبيعي، تناولتُ العشاء مع عائلتي، جلستُ أمام التلفاز لدقائق قليلة، ثم خلدتُ إلى النوم. استيقظتُ قبيل الفجر بقليل شاعرًا بسخونة شديدة؛ كما لو كان جسدي يغلي.. وقبل أن أتمكن من النهوض عن الفراش أو حتى مناداة أحد للاستغاثة به، وجدتني أتبخر تدريجيًا نحو سقف الغرفة. كنتُ أشاهد جسدي الهامد أسفلي راقدًا على الفراش بلا حراك وهو يتبخر. حاولتُ أن أتحرك أو أن أصرخ ولكنني لم أستطع، لم أعد ذلك الجسد، لم أعلم ما أصبحت عليه. كان الأمر غريبًا للغاية، وتواصل إلى أن تبخر الرمق الأخير مني. بعد ذلك خرجتُ من الغرفة وظللتُ أهيم في الأجواء بالخارج، لم أدر كم من الوقت مر، ولم أعرف إلى أي مكان ذهبت. ولكنني عند نقطةٍ ما، وجدتني أتكاثف وأتساقط على هيئة مياه إلى أحد الأنهار. اندمجتُ مع مياه النهر وظللتُ أجري معها حتى سقطتُ من فوق شلال عظيم، ولفظني النهر بعدئذٍ إلى أرض مليئة بالعشب. تشربتني تلك الأرض بالكامل وأخذتُ أنمو بداخلها تدريجيًا إلى أن أصبحتُ شجرة عملاقة.

للمرة الأولي في وجودي أشعر بذلك الثبات؛ جذوري كانت تمتد عميقًا للغاية في باطن الأرض لدرجة تجعل تزحزحي أمرًا شبه مستحيل تقريبًا. ذلك الشعور كان جديدًا تمامًا بالنسبة لي، أن أكون شيئًا محدد بلا تفكير مُفرط أو تشتت دائم. وفي ذات الوقت، وبدون تناقض بالمناسبة، لم أكن أشعر أني جامد تمامًا، فأنا أمتلك أوراق وثمار فوق أغصان تهفو بها الرياح من حينٍ لآخر. وحتى وإن سقطتْ تلك الأوراق والثمار؛ وذلك ما يحدث عادةً، فبالطبع سينمو آخرون غيرهم، وذلك كان أمرًا صحيًا للغاية بالنسبة لي.. ولكن كما قلتُ، جذوري كانت ثابتة للغاية ولا سبيل إلى تحريكها، وذلك كان هو أهم شيء على الإطلاق في تلك المرحلة.

بعدما أدركتُ هيئتي الجديدة وتأقلمتُ معها، أخذتُ أتأمل البيئة المحيطة من حولي.. كنتُ في بستان لا بداية له ولا نهاية على ما يبدو، شمسه مائلة للغروب دائمًا؛ أي ليس هناك صباح أو مساء أو ضحى أو غيرهم، الزمن في ذلك البستان ثابت على تلك اللحظة، الهواء لطيف ورطب دائمًا أيضًا، والأشجار أمثالي كانت لا تعد ولا تحصى في جميع الجهات، أمكنني أن أشاهد «43» منهم يتحدثون

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويتواصلون بطريقةٍ ما أمامي، وتطلب الأمر مني بعض الوقت كي أفهم تلك الطريقة في الحديث والتواصل، ومن الآن وصاعدًا سأقوم بالتعبير عن تلك الطريقة بصورة سهلة ومألوفة. وذلك لأن اللغة، وكعادتها، لن تسعف على إيصال الأمر في صورته التي ينبغي أن يكون عليها.

كانوا يتحدثون عن الطريقة التي مات بها كل منهم قبل التحول إلى شجرة، وعن ظروف حياتهم وأحوال العصر الذين كانوا يعيشون به. كنتُ أنصت إليهم بفضولٍ شديدٍ وأعكس الأمر على نفسي في محاولة لفهم الواقع الجديد والتأقلم معه، وقد لاحظوا هم ذلك جيدًا. ونتيجةً لذلك، قام أحدهم بإدخالي في الحديث معهم عندما وجدني أتطلع إليهم بذلك الفضول، فرحب بيّ وسألني عن الطريقة التي مت بها، فأجبت في خجل بأنني لا أعرف سبب؛ فقد كان كل شيء طبيعي إلى أن وجدتني أتبخر من جسدي. صمتوا قليلًا وظلوا يحدقون فيّ باهتمام. إجابة مثل هذه لم تكن مألوفة بالنسبة لهم، فقد اعتادوا أن يسمعوا عن أسباب مثل الحرق، الغرق، الذبح، الشنق، الدهس، الأمراض، الشيخوخة المفرطة، إلخ.. ولكن أحدهم تطلع بيّ بتفرس وسألني عن العصر الذي جئت منه! في البداية لم أعلم كيفية الإجابة عن سؤال مثل ذلك، ولكنني فكرتُ قليلًا واستلهمتُ الإجابة، فقلتُ له:

Telegram:@mbooks90

- أنا آتٍ من بداية الألفية الثالثة من التقويم الميلادي، تحديدًا من العقد الثالث منها.

فتنهد عندئذٍ وقال:

- حسنًا، لقد فهمتُ.

تطلعت إليه وإليهم كي أفهم، لكنهم ظلوا صامتين حتى تحدث أحدهم قائلًا:

- يبدو أن ذلك الزمن غريبًا بطريقةٍ ما، فمعظم من يأتون منه أمثالك يخبروننا بأشياء غير مألوفة!

تفكرتُ قليلًا مع نفسي، نعم أنا قادم من زمن أظنه الأغرب والأكثر إثارة للاستفزاز من بين جميع الأزمان التي سمعتُ عنها، ولكنني لم أفهم ما يقصدونه، فسألتهم قائلًا:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- لا أفهم، أية أشياء غير مألوفة تقصدون؟!

فأجابني أحدهم وقال:

- على سبيل المثال، منذ فترة جاءنا أحد أبناء زمنك، وعندما سألناه عن طريقة موته مثلما فعلنا معك، أجابنا بأغرب طريقة سمعناها على الإطلاق.

فسألتُ بفضول:

- وما هذه الطريقة؟!

فأجاب أحدهم:

- لقد قال أنه مات نتيجة انفجار خصيتيه مما يراه ويسمعه من حوله.

عندئذٍ ابتسمتُ ابتسامة لا تخلو من سخرية وألم عمًا تذكرته، فقد تخيلتُ إلى حد كبير ما يمكن أن يكون قد مر به هذا الشخص قبل موته. سألني أحدهم في استغراب وقال:

- تُرى ما الذي يمكن أن يراه المرء أو يسمعه ما قد يؤدي إلى انفجار خصيتيه؟!

فصمتُ قليلًا وقلتُ:

- في زمننا، الكثير من الأشياء بلا شك.

فقالوا لي:

- احكي لنا.

فتنهدتُ وقلتُ:

- حسنًا إذن، سأحكي.

قلتُ: «في زمننا، أغلب الأشياء صارت مزيفة، وكل شيء أصبح مُبالغ به. وبجانب جميع الوسائل التي تواجدت على مدار التاريخ كي تتلاعب بأفكار البشر ومشاعرهم، زمننا امتلك وسيلة إضافية هي الأسوأ والأخطر على الإطلاق من وجهة نظري. كان يُطلق عليها «مواقع التواصل الاجتماعي»، وببساطة هي عبارة عن عالم يتواجد به الأشخاص بصورة افتراضية، وكانت مُتاحة للجميع بشكل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مجاني في زمن أصبح كل شيء به بثمن باهظ للغاية. وبالنسبة لي المشكلة الرئيسية كانت تكمن هنا، حقيقة أنك ستسلب المرء من أغلب الأشياء القيمة في حياته، كأحلامه على سبيل المثال.. وستعوضه عن ذلك بشيء بإمكانك التحكم به متى أردتْ. شيء وهمي وافتراضي ولا قيمة له في نهاية المطاف، إلا أنه سيشغل صاحبه وسيعزله عن كل ما هو جاد وحقيقي. مواقع التواصل الاجتماعي كانت كالكعكة الفاسدة التي زُينت من الخارج بالعديد من الأكاذيب الشهية التي يحبذ أغلب الناس تناولها، ولكنها من الداخل كانت مليئة بالسموم التي يصعب علاج آثارها متى دخلتْ إلى الجسد.

مواقع التواصل الاجتماعي أتاحت الحصول على هوية مختلفة تمامًا لكل من يرغب بذلك، ومن قد لا يرغب في ذلك. تخيل أن تمتلك القدرة على أن تكون شخص آخر غير نفسك.. بإمكانك أن تكون شخص مثالي بلا عيوب، شخص يحبه الجميع ويتغنون بجمال مظهره وكمال منطقه وأفكاره. بإمكانك أن تكون شخص خفيف الظل، شخص متمرد، شخص عصري، وما إلى آخره من ذلك القبيل. الأمر كله حسب رغبتك، وقد يقول البعض أن الأمر في النهاية كذبة افتراضية، ولكن يمكن القول أن تلك الكذبة سيصدقها الجميع مع الوقت إلى أن تصبح حقيقة لا جدال فيها. في النهاية الانطباع السائد للجميع عن الجميع في زمننا كان يعتمد بشكل كبير -إن لم يكن بشكل كامل- عما يبدو على مواقع التواصل الاجتماعي. الحياة الواقعية كانت تتآكل تدريجيًا، التواجد بها لم يعد بتلك الأهمية، لم يعد يهم ما أنت عليه في الحقيقة ولم يعد يهم ما تقوم به أو ما تحققه. إن لم تتواجد في العالم الافتراضي، للأسف أنت بلا وجود تقريبًا.

ذلك والعديد من الأشياء الأخرى أدى إلى ما أود أن أطلق عليه «الجنون الجمعي». وشخصيًا أخمن أنه كان السبب وراء انفجار خصيتيّ صاحبنا، وإحدى مظاهر ذلك الجنون على سبيل المثال، كانت ظهور مجموعة من الأشخاص المتخلفين ذهنيًا، الذين أطلقوا على أنفسهم لقب «الانفلونسرز» أي الملهمين أو المؤثرين.. بالله كيف يمكن لشخص يُطلق على نفسه مؤثر أن يكون مؤثرًا بالفعل؟! وكيف يمكن أن يكون إلهام الناس والتأثير على حيواتهم وظيفة أو عمل يمكن أن يقوم به أحدهم بشكل ثابت؟! وإن افترضنا وأن ذلك ممكن، فكيف يكون هؤلاء الفشلة المزيفون هم من يقومون بذلك؟!! لكن وكي أكون صادقًا، هم بالفعل أثروا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في الناس وألهموهم في حيواتهم، ولكن بطريقة معاكسة تمامًا. فقد جعلوهم ناقمين على حيواتهم الطبيعية التي ينبغي أن يكونوا راضين وشاكرين عليها. فنتيجةً لما قام به هؤلاء التافهين، وبالنسبة للكثيرين، لم يعد يكفي أن تكون شخصًا ناجحًا، بل ينبغي أن تكون ناجحًا للغاية، وأن تنشر ذلك أمام الجميع. ولا يكفي أن تكون سعيدًا، بل ينبغي أن تكون سعيدًا للغاية، وأن تنشر ذلك أمام الجميع. لا يكفي أن تكون في حالة جيدة، بل ينبغي أن تكون أفضل حالًا من جميع من حولك، وأن تنشر ذلك أمامهم أيضًا. أنتَ ينبغي أن تكون وسيمًا، ذكيًا، وثريًا، خفيف الظل وذو كاريزما مميزة. وأنتِ يجب أن تكوني جميلة ومثيرة للغاية، ويجب أن تكوني ناجحة ومستقلة، ويجب أن ترتبطي بعد ذلك بشخص قادر على أن يحقق لكِ جميع أحلامك وأمنياتك دون أدنى عناء أو تعب منكِ. وإذا لم تمتلك أو تمتلكي جميع ما سبق، فأنتم غير جديرين بالتقدير والاحترام، ولا تستحقون أن تنالوا الإعجاب من أحد.

هذه المفاهيم نمت وترسخت في زمننا بشكل كبير وإلى حد يصعب التخلص منه أو التعايش من دونه، وأنا لا ألوم فقط هؤلاء المؤثرين الأغبياء، بل ألوم أيضًا كل هؤلاء الحمقى الذين صدقوهم وخضعوا لقوانينهم وأخذوا يقلدونهم حتى صاروا مثلهم، وبخاصة الحمقى الذين يمتلكون من الوعي والتعليم ما يفترض أن يجعلهم مُدركين لحقيقة كل ما سلف ذكره، وبخاصة أكثر الحمقى الذين يدركون بالفعل حقيقة كل ذلك ويقومون به على أية حال..

تلك المعايير التي جعلت تسول الاهتمام والاعجاب من الآخرين الطريقة الأسهل للنجاح وتحقيق الذات. بإمكانك أن تفعل ذلك باستخدام إحدى مواهبك إن كنت تمتلك واحدة، أو بالاستجداء والاستعطاف إن كنت فتاة جميلة، ويُفضل لو كنت تمتلك نهدين كبيرين. بإمكانك أن تتملق الناس، تخدعهم، تسبّهم. بإمكانك أن تستخدم عائلتك، زوجتك، أطفالك، كرامتك، أو أيًا كانت الوسيلة.. لا يهم كيف ستفعل ذلك، كل ما يهم هو أن تجعل الناس مهتمين بك وبما تفعله، ذلك سيعود عليك بالأموال والشهرة وسيجعل حياتك رغيدة. ولكم أن تتخيلوا نوعية الأشخاص الذين صاروا مشاهير في زمننا نتيجةً لذلك، لكم أن تتخيلوا نوعية الفن الذي ازدهر، وطبيعة المحتويات التي كانت تُقدم. يكفي أن أقول لكم أن التفاهة والخلاعة صارا تيمة عصرنا، وأن المغفلين أصبحوا نماذج يُحتذى بها. وفي مقابل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذلك، أصبح المجدون والمتفانون ممن يستيقظون كل يوم فجرًا كي يباشروا أعمالهم مجرد أشخاص مملون بلا طموح. الأطباء والمعلمون والمهندسون والعمال والفلاحون الذين يقومون بالعمل الحقيقي الذي لا يمكن أن تدور عجلة الحياة من دونه أصبحوا مادة للسخرية من قِبل التافهين الذين يجلسون على مؤخراتهم طوال النهار. وما يثير الاستفزاز والحزن في آنٍ واحد، هو أن كل شيء بطبيعة الحال أصبح مادة للسخرية؛ كل شيء حرفيًا..

زمننا كان غريبًا وظالمًا في العديد من نواحي الحياة. لكن وبالرغم من كل ذلك، إلا أن العديد من الأشخاص الحقيقيون كانوا يتواجدون، كانوا يمثلون ذلك الضوء المتواجد في زواية كل شارع مظلم. رأيتُ بنفسي العديد منهم، أغلبهم كانوا صامتين، كان يبدو عليهم شيئًا من الحزن، أو ربما الضياع، كما لو كانوا يبحثون عن شيء هم غير متأكدين من وجوده. ولكن الأمر المميز بهم، هو أنهم لا يخنعون مهما قست عليهم الظروف، هم يقاومون ويصبرون، وينظرون بداخلهم وليس حولهم. رؤية هؤلاء الأشخاص كانت تعطيني أمل جميل، كنت أؤمن أنهم سيجدون ما يبحثون عنه عاجلًا أو آجلًا إن هم استمروا في الصبر والمقاومة، وكنت أؤمن أن حدوث ذلك سيؤدي إلى شيء عظيم؛ شيء قادر على إحداث تغيير حقيقي في الأحوال..».

أنهيتُ حديثي ثم نظرتُ إلى سائر الأشجار من حولي، لم يكن أيًا منهم ينصت، يتحدث، أو ينظر. لقد كانوا مجرد جماد! قبل أن أتمكن من إدراك ما حدث، وجدتني أسقط من الشجرة على هيئة ثمرة تفاح. ظللتُ على الأرضية بين العشب لبعض الوقت إلى أن جاء أحدهم وقضمني. حاول أن يبتلعني، ولكنني علقتُ في حنجرته، وثبتُ على هذه الوضعية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كائنات فضائية

كنا على وشك أن نفقد منزلنا، قامت الديدان بالتهام الأبراج، وأخذت تطاردنا. كنا نركض بسرعة الصوت وسط كل تلك النيران في جوف الليل، نبحث عن خيط نور رفيع كي ينهي كل ذلك. عبرنا الكثير من الصحاري وصعدنا إلى قمة إحدى الأبراج المتبقية، ثم قفزنا وأخذنا نحلق نحو المركبة المركزية التي تطل على كوكبنا، لاحقتنا الديدان في الجو وكانت على وشك أن تلتهمنا، لكننا أفلتنا منهم بفارق لحظات قليلة. دخلنا إلى المركبة وأغلقنا أبوابها في وجوههم، ارتطمت رؤوسهم العملاقة بجسد المركبة الصلب، ففقدوا وعيهم وسقطوا إلى سطح الكوكب المشتعل.

بدأت المركبة في التحرك وأخذنا نصعد بعيدًا عن عالمنا. شاهدنا من النوافذ كوكبنا وهو يشتعل، والتقطنا ما أمكننا من الصور التي ظلت تتضاءل كلما ابتعدنا. ظللنا ننظر في صدمة إلى حياتنا التي ألفناها وهي تُفقد، وكان مؤلمًا أن تتلخص تلك الحياة في الأخير إلى مجرد نقطة ضائعة في ذلك الفضاء الغامض القاسي الفسيح. التاريخ لن يكون لديه الكثير ليذكره.

والدنا قال:

- إن أردتم فسنطير بعيدًا للغاية، إن أردتم فتمسكوا جيدًا..

تم تفعيل وضع الانفجار الكمومي وانطلقت المركبة بسرعة تقترب لسرعة الضوء، أخذنا نهيم في أرجاء مجرتنا الفسيحة، نهيم ليس فقط في أماكن مختلفة، بل في أزمنة أيضًا.. بحثًا عن منزل جديد، شاهدنا الملايين من الأجسام الغريبة وما لا نهاية من النجوم المختلفة الأشكال والأحجام والألوان. نظام الملاحة خاصتنا رشح لنا عدد من الكواكب المبشرة، ولكننا كنا نأمل في ما هو أكثر من ذلك. كنا ننتظر أن يلتقط ضوءنا أي تليسكوب في ليلةٍ ما، ويعرض أصحابه علينا أن نطير إليهم بشكل ودي، بدلًا من أن نفرض أنفسنا عنوةً على أحد. ولكن للأسف ذلك لم يحدث، كنا مجرد كائنات غريبة ضائعة في أرجاء الفضاء، ولم نكن نريد سوى أن نعود إلى منزلنا مجددًا.

استكملنا التحليق حتى وصلنا إلى مجرة مجاورة، رأينا نجومًا بألوان زاهية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للغاية، حتى أن الكواكب القريبة من تلك النجوم كانت تكتسي بألوانها أيضًا. أحد هذه الكواكب كان لونه أحمر مشتعلًا، بدا مبشرًا للغاية بالنسبة لنا. قررنا أن نهبط إليه ونرى ما سيحمله لنا من فرص.

كان ممتلئًا بالجبال، وسرعان ما اكتشفنا أن تلك الجبال هم أهل ذلك الكوكب. كانوا يمتلكون عيونًا وأفواهًا عملاقة، وكانت أفواههم تنغلق وتنفتح على الدوام. أغلبهم كانوا مخيفين للغاية، وكان يطلقون نيران من أفواههم كلما اقتربنا منهم كي نبتعد. فشلنا في إيجاد ملاذ لنا، وكان بديهيًا أننا لم يكن مُرحب بنا. أحاطت بنا النيران من جميع الجهات، ولم نحتج للكثير من الوقت كي نتأكد من ضرورية الرحيل واستكمال الهيام على وجوهنا في اللاشيء. والدنا أخذ يصعد بالمركبة مرة أخرى، ولكن عند رحيلنا، لمحتْ عينين تنظران إليّ لن أتمكن من نسيانهما على الإطلاق، عملاقتين وساحرتين كانتا.. البوبؤ بدا كما لو كان ثقب أسود يمكن أن يقودك إلى مجهول ترغب في الضياع به، والقزحية كانت عبارة عن مجرة فسيحة من الأحلام يتوسطها ذلك الثقب الأسود.

تلك العينين العملاقتين لم تنغلقا كسائرتهم، ولم تتوقفا عن النظر إليّ. نظرات بها ألم، طمأنينة، شفقة، سعادة، وعود، خوف، غرابة، ألفة، سعادة، وجنون.. شعرتُ كما لو كانت تقول لي: لا ترحل، أو ربما: ابحث عني في عالم آخر..

صعدنا إلى خارج ذلك العالم، ولكنني لم أعد ما كنتُ عليه، ولن أعد إليه على الإطلاق. وفي تلك السماء القاتمة المتلألأة بالنجوم التي تحيط بنا؛ رأيت شريط حياتي يدور أمامي، ووجدت عيناها تعبران بي خلاله.

مرت سنوات ضوئية، ولازلنا نجوب الكون بحثًا عن منزل، تغيرت العديد من الأشياء، بداخلنا وحولنا. ولكننا لم نفقد الأمل في الوصول إلى هدفنا، وأنا لم أنس عينيها. كان والدي قد وضع المركبة في وضعية الطيران الآلي منذ فترة طويلة نكاد لا نتذكرها. وبينما كنا في حالة سبات، تفاجأنا بإنطلاق إحدى إنذارات المركبة، انتفضنا لنرى ما يحدث، فإذا بنا نرى أسطول فضائي يحيط بمركبتنا، ووردت إلينا رسالة منهم مفادها:

- أخبروا قائدكم، سيد كان أو سيدة، أننا جئنا بسلام ولا ننوى إيذائكم، فقط سلموا أنفسكم ولا تظهروا أي مقاومة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نظرنا إلى بعضنا البعض، لم نكن في موقف نُحسد عليه، نعلم ما سيؤول إليه الأمر إن انصاعنا لنداءهم؛ سنقضي عدة سنوات ضوئية أخرى في الأسر، ولن نجد منزلًا ما حيينا. وإن قاومنا فسيمطرونا بوابل من أسلحتهم الذرية التي لا نهاية لها. قررنا أننا لن نستسلم، والتقطت أجهزتنا ثقبًا دوديًا على بُعد بعض الملايين من الكيلومترات، وبالرغم من عدم تأكدنا من الوجهة التي سيقودنا إليها ذلك الثقب، أو إذا كانت ستنجو مركبتنا بداخله، إلا أننا لم نمتلك العديد من الخيارات.

ألقينا بعض الأسلحة التمويهية وانطلقنا بالسرعة القصوى للمركبة في المسار الذي حددناه نحو الثقب، لاحقونا وظلوا يطلقون علينا صواريخهم، ولكن عند نقطة معينة توقفوا عن ملاحقتنا عند الاقتراب من مدار الثقب. على الأغلب ظنوا أننا مجانين، الاقتراب من الثقوب يعد شيء مُجرم في الملاحة بين النجوم. نجونا منهم بأعجوبة، ولكن لا نجاة مما نحن مقبلون عليه، ذلك شيء خارج نطاق معارفنا.. كل ما يمكننا فعله الآن هو الملاحظة والانتظار.

فقدنا السيطرة بالكامل على المركبة عند الاقتراب، التزمنا مقاعدنا وأمسكنا بأيدي بعضنا البعض. وشعرنا أنه تم ابتلاعنا من شدة الجاذبية. فقدنا كل وسائل الطاقة والاتصال بالمركبة، وشعرنا بمجال كهرومغناطيسي لم نختبره من قبل. شعرنا بتشوه ملموس في الزمكان من حولنا؛ شعور لا يمكن وصفه بالكلمات، تلك المفاهيم صارت مادية يمكن الإمساك بها. المركبة كانت تدور حول نفسها بلا توقف، وشعرنا أنه يتم طيها مرارًا وتكرارًا. لو استمر الأمر لفترة وجيزة أكثر من ذلك، لكنا انفجرنا من شدة الضغط، أو ربما ذلك ما اعتقدناه. ولكن وبينما كنا على شفا فقدان الوعي، لفظنا الثقب إلى الخارج.

لم ندرك في أي مجرة أو عالم صرنا، ولا كم من الزمن قد مر. لم نستطع استعادة التحكم في المركبة، وأول شيء أدركناه بعد ذلك، هو أننا وجدنا أنفسنا نسقط بإتجاه كوكب يغلب عليه اللون الأزرق. علمنا أن أهل ذلك الكوكب سيرصدوننا، جسم غريب يتحرك باتجاههم، لم نتمكن من فعل شيء، كنا نتوقع أن يتم تفجيرنا، لكن ذلك لم يحدث. واصلنا السقوط كما لو كنا رقعة مفقودة من الزمكان، رقعة تقلبت بين صفحات الكون والتاريخ إلى أن وصلت إلى هنا.

اخترقنا الغلاف الغازي لذلك الكوكب، ومررنا بسرعة جنونية فوق قارة تُسمى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«آسيا». ارتطمنا بكل قوة إلى أرضية إحدى الكواكب لأول مرة منذ أزمان طويلة. تحطمت المركبة وكانت على وشك الانفجار. خرجنا منها، فوجدنا أنفسنا في مكانٍ عرفنا فيما بعد أنه يسمى غابة. كان ممتلئا بالأشجار الطويلة المخيفة، ذكرتنا إلى حدٍ كبير بالديدان. ظللنا نسير لوقتٍ ليس بطويل، وبدأنا نشعر بشيء من السكينة. ظلام الليل كان خير حامٍ لنا في تلك الظروف، والهواء اللطيف الذي وجدناه في تلك الغابة أعاد لنا ذكريات الماضي والمنزل الذي فقدناه مرغمين. سرنا ونحن نعلم أنهم سيأتون من أجلنا قريبًا للغاية، وعلمنا أنه سيتحتم علينا أن نفترق، وأننا سنحتاج على الأغلب أن نتخفى في هيئة سكان ذلك الكوكب؛ لم يعد لدينا أي خيار آخر.

وصلنا إلى ربوة عالية كانت تطل على مدينة متلالأة بالعديد من الأضواء. وقفنا أنا وأختي ومن خلفنا والدي ووالدتي، ظللنا نحدق في تلك المدينة بحزن شديد، ومن خلفنا كان الفضاء ونجومه شاهدين على رحلتنا وعلى تاريخنا الذي سيُطمس. فكرنا في كوكبنا الذي احترق وفي منزلنا الذي فقدناه، تمنينا أن نمتلك الفرصة لنعيش مرة أخرى كما أردنا، وحلمنا بأن يتم قبولنا كما نحن، باختلافنا، دون قيود ولا تعقيدات، وبدون أي نوع من العنصرية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شيء

اجتمع ثلاثة أشخاص على رغبة محمومة في الحصول على شيء ما، فتساءل أحدهم قائلًا: «هل هناك طريقة أكثر عدلًا لحل هذه المعضلة سوى أن نتخلى ثلاثتنا عن رغبتنا ونرحل؟!». فرد آخر مازحًا: «نعم، أن يخبرنا ذلك الشيء بما يريده هو». فرد الثالث ساخرًا وقال: «وهل يستطيع ذلك الشيء أن يتحدث؟!». وعندئذٍ خرج ذلك الشيء عن شعوره، فقال للشخص الأول: «تبًا للمثالية الزائفة»، وللشخص الثاني: «تبًا لخفة الظل»، وللشخص الثالث: «تبًا لضيق الأفق».

اندهش الأشخاص الثلاثة وظلوا لوقتٍ طويل ينظرون لبعضهم البعض غير مصدقين ما حدث للتو، فعاود الشيء الحديث وقال: «دعونا لا نتوقف كثيرًا عند انبهارات البدايات، لندخل إلى موضوعنا مباشرةً». ولكن الشخص الثالث لم يتمكن من تمالك نفسه، فسأل الشيء بعينين جاحظتين ولعاب يسيل من فمه وقال: «بالله عليك كيف أمكنك الحديث؟!». فأجابه الشيء قائلًا: «العالم مجنون لدرجة لن تسمح لك مخيلتك بتصورها».

صمت الأشخاص الثلاثة لعدة ثوانٍ وظلوا في حيرة كبيرة من أمرهم إلى أن تحدث الشيء وقال: «حسنًا، دعونا نبدأ!».

طلب الشيء منهم أن يجلسوا مسترخين وأن يتناسوا ويتخطوا كل ما هو غير ضروري، وأخبرهم أنه في الأخير سيختار أحدهم كي يهدي نفسه إليه، ولكن ذلك سيحدث وفقًا إلى شروط يجب الالتزام بها، فعلى مدار الدقائق القليلة المقبلة سيقوم بطرح بضعة أسئلة عليهم، وسيمنح كل منهم مساحة مناسبة من أجل الإجابة والتعبير عن الرأي، وفي النهاية سيقوم بتقييم تلك الإجابات على أساس واحد فقط؛ وهو الصدق.

فهو لا يريد سوى الحقيقة. حتى وإن بدث تلك الحقيقة صادمة وقبيحة، إلا أنها ستكون السبيل الوحيد الذي سيسمح لصاحبه بالحصول عليه. بعد ذلك صمت الشيء وتفرَّس في وجوههم لثوانٍ ثم سألهم قائلًا: «هل أنتم جاهزون؟!». نظروا لبعضهم مجددًا ولكن سريعًا هذه المرة، وكانت أعينهم تعج بالخوف والقلق وبعض الحماس أيضًا. بعد ذلك وجهوا نظرهم إلى الشيء وأومأوا برؤوسهم موافقين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فابتسم الشيء وقال: «حسنًا، هلمَّ بنا».

السؤال الأول:

لماذا يرغب كل منكم في الحصول عليَّ؟!

أشار بعدها الشيء إلى الشخص الأول كي يبدأ بالإجابة، فصمتَ لوهلةٍ كي يفكر فيما سيقوله، بعدها بدأ بالحديث فقال:

- أرغب في الحصول عليك لأن وجودك سيحل العديد من المشاكل وسيذلل الكثير من الصعاب بالنسبة لي، ستوفر عليَّ الكثير من المجهودات وستسمح لي بأن أركز طاقتي على جوانب أخرى في حياتي. بالإضافة إلى قدرتك على أن تجعلني أشعر بالسعادة والرضا، وبالطبع كل ذلك سينعكس بالإيجاب عليَّ؛ ذهني سيصبح أكثر صفاء وجودة حياتي سوف تزداد.. ببساطة، أنا بحاجة إليك.

قال الشيء: «حسنًا»، ثم أشار إلى الشخص الثاني كي يتحدث، فأخذ وقته في التفكير ثم قال:

- أرغب في الحصول عليك من أجل قيمتك التي يعلمها جميع الناس ويتمنون الحصول عليها. إذا حصلت عليك، سأعمل على الإشارة إليك طوال الوقت في جميع المناسبات التي أظهر بها وجميع الأحاديث التي أخوضها؛ بشكل مباشر وغير مباشر. أريدك كي أثبت أنني لستُ أقل شأنًا من أحد، كي أثبت أنني مثلهم، بل وأفضل منهم.. ببساطة، أريدك من أجل التفاخر.

أومأ الشيء برأسه تعبيرًا عن رضاه بتلك الإجابة، ثم أشار إلى الشخص الثالث، فتحدث مباشرةً دون أي تفكير وقال:

- أرغب في الحصول عليك كي أمنع أي أحد آخر من الحصول عليك. إذا حصلت عليك، سأشعر بنشوة غامرة في كل لحظة أتذكر بها أنك ملكي. وإذا لم يحدث ذلك، سأشعر بشوكة في ظهري عند رؤيتك مع أي أحد غيري.. ببساطة، أريدك حبًا في التملُّك وكُرهًا في الجميع.

استحسن الشيء هذه الإجابة أيضًا، وقال: «هذه بداية مُبشرة للغاية، لنستكمل ما بدأنا».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السؤال الثاني:

هل يرى كل منكم أنه جدير بالحصول عليّ؟ ولماذا؟!

كما كان الحال في السؤال السابق، بدأ الشخص الأول بالإجابة وقال:

- لا أعلم إن كان الأمر يتعلق بالجدارة أم لا. لكن إن كان، فأنا أؤمن أني لستُ أكثر أو أقل شخص جدير بك أو بأي شيء آخر. وإن لم يكن، فكما قلتُ، أنا بحاجة إليك ووجودك سيكون مفيدًا للغاية بالنسبة لي، لذا إذا كنت متاخا وإذا كانت هناك قيمة مادية أو معنوية يمكن أن أدفعها مقابل الحصول عليك، فأنا مستعد لذلك، بشرط أن تكون تلك القيمة موازية للقيمة التي سأتحصل عليها منك.

حان دور الشخص الثاني، فقال:

- أشخاص مثلي وربما أقل شأنًا مني ويمتلكون أشياء مثلك أو أفضل منك، وبالتالي بالطبع أنا جدير بك. أنا أمر بما يمر به الجميع، أقوم بما يقومون به، وأتحمل ما يتحملونه، وربما أكثر. لذلك لا أرى أي سبب يمكن أن يجعلني غير جدير بك.

الشخص الثالث قال:

- بالطبع، أنا أكثر شخص جدير بك. أعتقد أني وُلدتُ كي أحصل عليك، هذا حقي الشرعي. أنا أفضل من الجميع. لا أحد يقوم بما أقوم به، ولا أحد يفعل أي شيء أفضل مما أفعله أنا. سيكون أمرًا غريبًا وظالمًا أن تذهب لأحدٍ غيري.

ابتسم الشيء وعبَّر عن سعادته واستحسانه لإجابات هؤلاء الأشخاص الثلاثة، وأخبرهم أنه يقدّر للغاية وضوحهم وصراحتهم، ثم صمتَ برهةً وقال لهم: «سأطرح عليكم السؤال القادم علنًا كالمعتاد، ولكنني سأتلقى إجابة كل منكم سرًا، وذلك منعًا لأي إحراج». أبدوا ثلاثتهم موافقتهم على ذلك، وظهرت على ملامحهم الرغبة في استكمال تلك العملية من أجل الظفر بذلك الشيء، وبعد فترة صمت قصيرة استكمل الشيء الحديث وطرح عليهم السؤال الثالث.

السؤال الثالث:

في حالة عدم الظفر بيّ.. من الذي يختاره كل منكم من الاثنين الآخرين كي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يحصل عليّ؟ ولماذا؟!

طلب الشيء من الشخصين الثاني والثالث أن يغادرا ريثما يجيب الشخص الأول عن السؤال، فامتثلا له، وعندئذٍ أشار الشيء إلى الشخص الأول كي يجيب، ففكر قليلًا ثم قال:

- أعتقد أني سأختار الشخص الثالث، لأني أرى أنه شخص يعاني من العديد من الاضطرابات والمشاكل النفسية المتراكمة. وبغض النظر عن جدارته بك من عدمها، إلا أن عدم حصوله عليك سيجعل الأمر أسوأ بالنسبة له، مما يجعلني أشعر بالشفقة حياله. كما أنه سيكون خطيرًا للغاية في حالة عدم الحصول عليك، فلا أستبعد محاولته إيذاء الشخص الذي سيحصل عليك بدلًا منه. أما بالنسبة للشخص الثاني، فلا أظن أن الأمر سيشكل فارقًا بالنسبة له، فهو على الأغلب سيجد شيئًا آخر ليتفاخر به، حتى إن كان ذلك الشيء الآخر بلا قيمة.

قال الشيء: «حسنًا»، ثم طلب من الشخص الأول أن يذهب إلى المكان الذي يتواجد به الشخصان الثاني والثالث، وأن يطلب من الشخص الثاني أن يحضر بينما يظل هو رفقة الشخص الثالث، ففعل الشخص الأول ذلك، فحضر الشخص الثاني ووقف بين يدي الشيء وأجاب عن السؤال قائلًا:

- سأختار الشخص الأول، لأني أرى أنه أكثر احتياجًا لك من الشخص الثالث. كما أني أفضله شخصيًا عن الثالث، فهو يتحدث بتوازن وعقلانية. أما الآخر، فهو مجرد وغد، يتحدث بتعجرف ويتعامل كما لو كان ليس هناك أحد سواه في هذا العالم، سيكون مستفزًا للغاية بالنسبة لي أن يحصل ذلك الشخص عليك. فهو لا يستحق أي شيء على الإطلاق، كما أنه يحتاج أن يتعلم جيدًا كيفية احترام الآخرين، ووجودك معه لن يساعد على ذلك، بل سيجعل الأمر أسوأ.

قال الشيء: «حسنًا»، ثم طلب من الشخص الثاني مثلما طلب من الأول، فرحل الشخص الثاني وحضر الشخص الثالث وأجاب قائلًا:

- لا أختار أحدًا..

فقال له الشيء: «يجب أن تجيب وتختار أحدهما، وإلا ستفقد أي فرصة للحصول عليّ». فصمت لعدة لثوانٍ ثم قال وقد ظهرت علامات السخط على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ملامح وجهه:

- أختار الشخص الأول.

فسأله الشيء:

- لماذا؟!

فردَّ:

- لا أعلم.

فقال له الشيء بغضبٍ شديدٍ وغير مُفسر:

- ستجيب عن السؤال رغمًا عن أنفك يا ابن العاهرة..

تفاجأ الشخص الثالث ونظر نحو الشيء بعينين متقدتين دون أن يقول شيئًا، فزمجر فيه الشيء وصاح فيه قائلًا:

- أجب!

فنظر الشخص إلى الأرض وقال باستسلام:

- لأنه الأفضل بيننا..

فقال الشيء: «ارحل عن وجهي واذهب إليهما. انتظروا معًا لمدة «24» دقيقة، ثم احضروا هنا جميعًا إليَّ وسأخبركم بالشخص الذي اخترتُ أن أهدي نفسي إليه». ذهب الشخص الثالث إلى الشخصين الآخرين وأخبرهما على مضض بما قاله له الشيء، فانتظروا المدة المقررة، ثم عادوا إلى حيث ينتظرهم الشيء.

طلب منهم الشيء أن يجلسوا، ففعلوا ذلك، بعدها نظر إليهم وقال: «لقد اتخذتُ قراري واخترتُ أحدكم، وكما أخبرتكم سابقًا، الصدق كان هو معياري الوحيد في ذلك الاختيار، لم أرد شيئًا سوى الحقيقة». بعدها صمتَ قليلًا، ثم نظر إلى الشخص الذي اختاره وقال:

- لقد كنتَ صادقًا بما يكفي بالنسبة لي، بإمكانك أن تأخذني الآن..

نهض ذلك الشخص وأخذ الشيء ورحل في طريقه. وظل الشخصان الآخران

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جالسين كما هما لبعض الوقت، لم يتحدثا ولم ينظرا حتى لبعضهما. وبعد دقائق قليلة، كانا قد سئما الجلوس والانتظار، فنهضا ورحل كل منهما في طريقه.

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

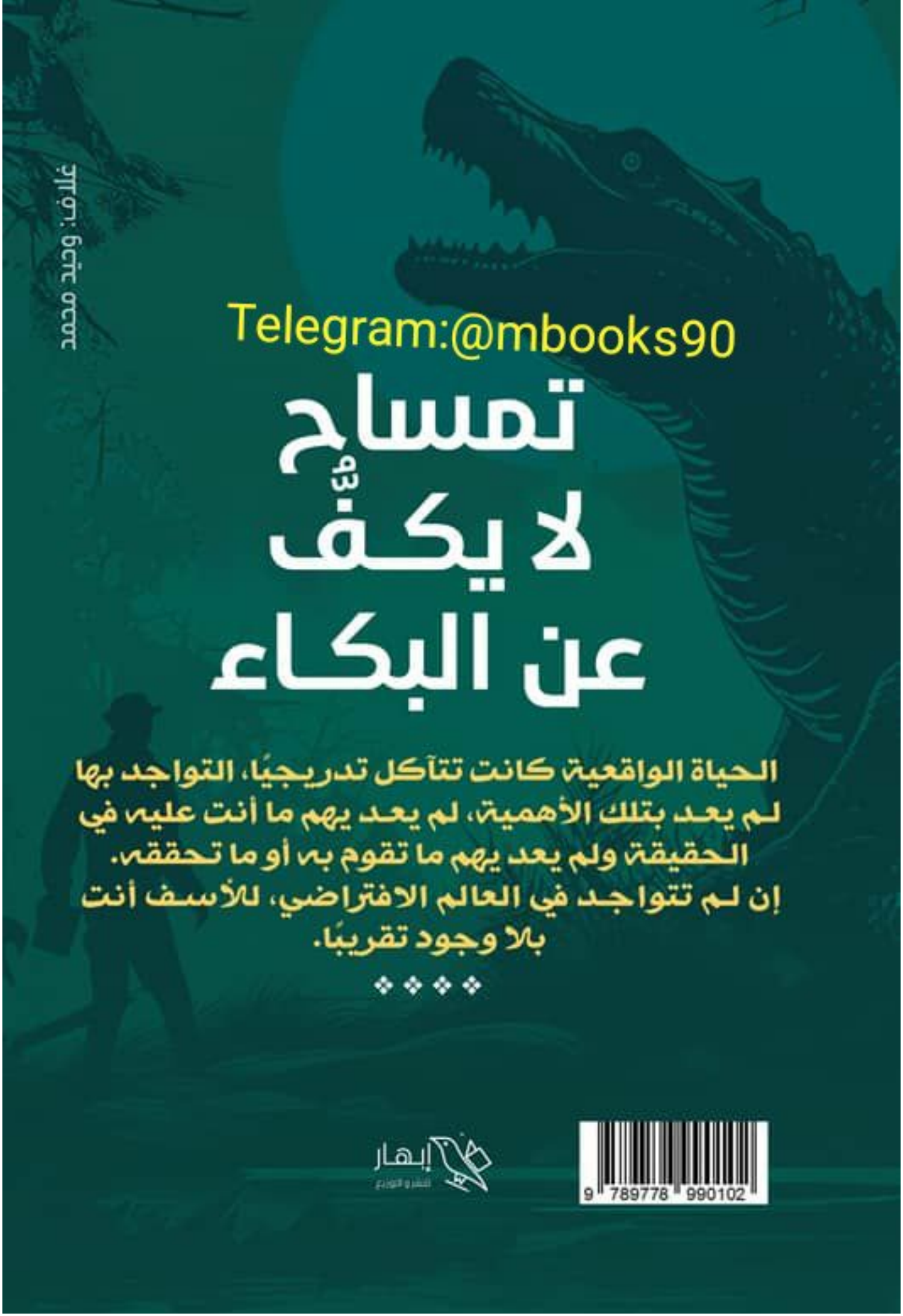

Telegram:@mbooks90

تمساحٌ لا يكفُّ عن البكاء

الحياة الواقعية كانت تتآكل تدريجيًا، التواجد بها لم يعد بتلك الأهمية، لم يعد يهم ما أنت عليه في الحقيقة ولم يعد يهم ما تقوم به أو ما تحققه.
إن لم تتواجد في العالم الافتراضي، للأسف أنت بلا وجود تقريبًا.

❖❖❖❖

إبهار

9 789778 990102